

روايات مصرية للجيب



ما وراء الطبيعة

70 الحلقات المنسية



www.dvd4arab.com

www.dvd4arab.com



المقدمة

هذه هي حلقة الرعب السابعة ..

لنا العجوز (رفعت إسماعيل) ، وهذه سلسلة ما وراء الطبيعة ،
وأنتم القراء .. جميل .. يمكننا أن نبدأ ..

ماذا ؟ .. مقتضب أكثر من اللازم ؟

غريب .. كنت أعتقد أن أسوأ صفحات الكتاب هي الصفحات
التي أقف فيها لأتكلم قبل السماح لكم بدخول القصة .. رأيت في
طفولتي مشعوذاً يقف على باب خيمة ملاء ، وهو يعدنا نحن
الأطفال بالمرأة الأقوى والفارس مقطوع الرأس وفتاة النار والكهرباء
و ... و ... كان يسد الطريق بجسده العملاق ، وأعتقد أنه ظل
يتكلم نصف ساعة .. كنا نتحرق شوقاً ونوشك على الجنون ، لكنه
لم يصمت قط .. في النهاية سمح لنا بالدخول .. كان لكلامه الطويل
أثر مهم هو أننا لم نحب قط ما قدمه لنا ولم ننهر به .. لم يقدم
لنا طبعاً سوى الألعاب المعتادة للسخيفة من عينة الحلقات المتداخلة
وأوراق اللعب والكرات التي تخرج من فمه .. لكنه لو طار في
الهواء وخرج الشرر من أنفيه وكمش أحداً ليضعه في قبضته ،
لما اتبهرنا كثيراً .. لقد أشعل حماسنا إلى درجات غير مسبوقة ؛
لذا بدا أنه ليس بوسعهم إطفاء هذا الحماس ..

مهما فعل ..

لهذا أقول إبنى لن أتكلم كثيراً .. سوف نبدأ على الفور ..

كنت قد قدمت فى الكتيب الثلاثين عدة حلقات من البرنامج الإذاعى القديم (بعد منتصف الليل) ، الذى كنت ضيفه الدائم عامى 1969 و 1970 .. أنتم تعرفونه الآن وتعرفون أن حلقاته اندثرت .. إنه كان يمثل للمستمع العربى فى بداية السبعينات ما تمثله حلقات (منطقة الشفق Twilight Zone) و (مختارات رود سيرلنج Rod Serling) للمشاهد الغربى ، وإن اختلف الأمر لأن حلقاتنا كانت تتعامل مع مكالمات المشاهدين الساخنة الحية وليست حلقات مكتوبة سلفاً يؤديها ممثلون محترفون .. أعترف أنها كانت فكرة سابقة لعصرها فى ذلك الوقت قبل أن يبدأ عصر الفضائيات و (مداخلات المشاهدين) .. إلخ .. بثلاثين عاماً . والسبب هو ذلك الشاب النشط الشبيه بشلال أفكار وحماس لا يهدأ : (شريف السعدنى) ، دعك من أنها كانت شجاعة لاننكرها من الإذاعة أن تسمح للمتصلين بالكلام على الهواء مباشرة مهما قالوا .. فى هذا الزمن لم تكن لدينا تلك التقنية التى تؤخر صوت المتكلم بضع ثوان تسمح بقطع مكالمته - لو خرج عما هو مقبول - قبل أن يصل صوته للمستمعين .. ومن جديد كان على (شريف) أن يخوض حرباً إدارية مع المسؤولين كي يقدم هذا العمل الثورى .

تعرفون أن الكثير من الشكاوى انهال على الإذاعة وقتها لأن البرنامج يخيف الصغار ، وأنا لا أفهم من هو الصغير الذى يبقى متيقظاً يستمع للمذيع فى الواحدة صباحاً ؟ .. لابد أنه غول صغير مفزع لا يقدر شيء على إخافته .. إنه هو الذى يصنع الرعب ولا يتأثر به ..

المهم أن نفسية الأطفال انتصرت وأوقف البرنامج ، وقد فقدت الكثير من حلقاته للأسف .. أعرف يقيناً أن عندى سبعين حلقة منه ، لكنى لا أجدها مهما بحثت ومهما نظرت ..

إلا إبنى كنت أفتش فى حاجيتى الأسبوع الماضى ، حينما وجدت بكرة من شريط تسجيل .. جربتها على جهاز التسجيل العتيق ذى البكرتين الموجود فى مكتبى فسمعت أصواتاً واضحة .. إنه شريط قابل للاستماع إليه .. حلقات كاملة نسيته تماماً من (بعد منتصف الليل) لكنها ما زالت عندى ..

هكذا لم أتم ليلتها ولا لمدة أسبوع كامل ، وأنا ساهر فى مكتبى أفرغ هذه التسجيلات على الورق ، وفى النهاية ظفرت بعدة قصص لا بأس بها ..

هذه إذن هى الحلقات المنسية من (بعد منتصف الليل) ..

إن الجو مألوف لكم وأنتم تعرفون قواعد اللعبة .. هل فهتم لماذا كنت مقتضباً ؟

تعالوا نبدأ إذن ..

مقدمة البرنامج الثابتة :

صوت صرير باب يفتح ببطء ..

ثم صرخة امرأة ..

بعدها تبدأ موسيقا فاخرة متوجسة

ويدوى صوت المذيع هادراً بلهجة منذرة :

بعد منتصف الليل

عزيزى المستمع !

هل لديك خبرة معينة بعالم ما وراء الطبيعة ؟.. هل هناك خطر معين بطاردك ؟.. هل ترى أشياء لا يمكن تفسيرها ؟.. لا تتردد .. ارفع سماعة الهاتف واطلبنا فوراً .. سنصغى إليك ونحاول حل مشكلتك وإزالة مخاوفك ، مع ضيفنا الدكتور (رفعت إسماعيل) ..

عزيزى المستمع ..

أنت لست وحدك !..

(تتعالى الموسيقى من جديد ويبدأ ذكر اسم الفنانين)

تقديم : شريف السعدنى

الهندسة الإذاعية : أسامة نجم

إخراج : جلال القصاص

(أخيراً تخفت الموسيقى وتبدأ الحلقة) ..

الصفحات التالية هي تفرغ لحلقات مختارة من البرنامج الإذاعى (بعد منتصف الليل) ، الذى كان يذاع فى الواحدة صباحاً أسبوعياً ونال شعبية كبيرة فى عامى 1969 و1970 ، ثم منعت الرقابة إذاعته بسبب تأثيره السلبي على نفسية الأطفال .

بعد منتصف الليل

شريف :

أعزائي المستمعين .. من جديد نلتقي في الساعات الأولى من صباح الجمعة في برنامجكم (بعد منتصف الليل) .. كما تعرفون أنتم تتصلون بنا لتحكموا مشاكلكم المتعلقة بعالم ما وراء الطبيعة .. ونحن نستمع ونفكر حلولاً ، ومعنا دائماً (رفعت إسماعيل) أستاذ أمراض الدم بكلية طب (.....) ، والذي قضى حياته يواجه مشاكل من هذا النوع ؛ لذا هو صاحب خبرة عظيمة .. (رفعت) .. هل يمكن أن تقدم نفسك للسادة المستمعين ؟

رفعت :

هذا طلب غريب يا شريف .. ما داموا هنا فهم يعرفون من أنا ، وإلا لما كانوا هنا .. ظننت هذا واضحاً .. على كل حال أنت قدمت اسمي ومهنتي واهتماماتي .. لم يعد هناك جدوى من إضافة شيء آخر ..

شريف :

هناك دائماً مرة أولى كما تعرف .. نحن بانتظار مكالماتكم الأولى لتقدم الوقود لآلة الرعب فلا تتوقف ..

رفعت :

كلما سمعت هذه العبارة تذكرت عبارة (إلقاء بعض الجثث للكلاب) .. إن لها نفس الرنين ..

شريف (حرج واضح) :

نعتذر للسادة المشاهدين ، فهم على كل حال اعتادوا أسنوب .. رفعت الساخر من كل شيء .. إن له طريقة معينة في السخرية لا تدرك معها أنه يمزح .. هل اكتسبت طريقة السخرية هذه ياد (رفعت) من تعاملك مع كل الرعب الذي مررت به في حياتك ؟ .. كأنك لو لم تسخر لجنتت كما يقول لورد بيرون : أنا أضحك حتى لا أبكى ؟

رفعت :

بل على العكس اكتسبتها من تعاملتي مع البشر .. هناك مزية مهمة لدى المسوخ هي أنك لا تشعر معها بالملل أبداً .. لم ألق قط مومياء تكرر نفسها ، أو مصاص دماء يقول نفس الآراء ، أو مذبذباً مصرّاً على نفس التكات التي يقولها ويتنون أول من يضحك عليها .. كل شيء حدث من قبل .. كل كلام قيل من قبل .. لهذا أشعر بأن الناس ضعاف الذاكرة بشكل لا يصدق .. ولهذا نولم أسخر لجنتت .

شريف (في قلق) :

تأخرت المكالمة الأولى فعلاً .. اعتقد أننا سنستمع إلى أغنية
لـ (عبد الحليم حافظ) بانتظار المكالمة الأولى ..

رفعت :

في كل مرة يحدث هذا .. ننتظر وننتظر ثم تلتى المكالمة ، لكنى
في الحقيقة لا أملك تفاؤلك .. أحياناً أتخيل الحلقة التى لا تصلنا
فيها أية مكالمات فلا يحدث شيء سوى أن نثرثر معك لمدة ساعة ..

شريف :

لعل نشأتى فى حى شعبي علمتني شيئاً من إيمان الحرفيين المطلق
بحتمية الرزق .. لا أحد ينام جائعاً .. الله يرزق الجميع ، والطير
تغدو خماصاً وتروح بطاناً ، إذن لن ينتهى البرنامج من دون
مكالمات .. والآن تعالوا نستمع إلى الفنان (عبد الحليم حافظ) ..

(تبدأ الأغنية) ..

(صوت رنين الهاتف) ..

شريف :

يبدو أن هذه مكالمتنا الأولى .. ألو .. برنامج (بعد منتصف
الليل) .. تفضل ..

صوت شاب :

هل دـ (رفعت إسماعيل) هنا ؟

شريف :

فعلاً .. هل لنا أن نعرف من أنت ؟

الشاب :

أنا (ميدو) ..

شريف :

هل هذا اسم مستعار أم اسم تدليل أم هو اسمك فعلاً ؟

الشاب :

لا عليك .. هذه تفاصيل لا تهم .. أنا أمرٌ بظروف نفسية
خطيرة .. إن زوجتى تريد أن تأكلنى ..

شريف :

منذ متى ؟ وكيف عرفت هذا ؟

الشاب :

أذرنى أحد رفاقي منها .. قال لى إنها تلتهم البشر وإنها تببت
النية لالتهامى ..

شريف :

وكيف عرف صديقك هذا ؟

رفعت (مفكراً) :

أعتقد أنه .. لا داعي أن

الشباب :

عرف ذلك لأنها زوجته ..

شريف :

هل تقصد أن زوجتك متزوجة من رجلين ؟ .. هذه جريمة

يعاقب عليها القانون .. إن ..

رفعت :

(شريف) .. دعك منه .. أعتقد كذلك أنك غير متزوج أصلاً

أيها الشاب ؟ .. أعتقد أنك ساهر مع أربعة من رفاقك وقد قررت

التسلية ...

الشباب :

أنت مخطئ على طول الخط يا دكتور .. هل تعرف السبب ؟

رفعت :

لا ..

الشباب :

لأنني ساهر مع خمسة من رفاقي لا أربعة ! .. هاو أو أو أو !

(ضحك جماعي ماجن) ..

(يضع السماعة)

رفعت :

توقعت هذا منذ البداية .. أشم رائحة التهريج عندما تلعب

برأس الشباب .. تعرف ذلك الظريف الذي يشطب كلمة (عدم) من

عبارة (نرجو عدم التدخين) في الحافلات ، والذي يركب الدراجة

ليصفع الناس على أفتيتهم .. إن التهريج له شيطان حقيقي ..

هذا الذي يجعل خمسة شبان يتصلون ليتسلوا على حسابنا ..

وهذا يعطيك فكرة لا بأس بها عن إحساس الشعوب باحترام

الذات .. إحساسها بالمسئولية والفارق بين الجد والهزل ..

شريف :

لربما اعتقدوا أننا ما دمنا نتكلم عن الأشياء فنحن غير جادين ..

رفعت :

كما يقولون : نحن نمزح هنا فلا داعي للتهريج !.. هذا صحيح ودقيق تمامًا .. حتى المرح له قواعد التي تفسد بالتطرف الزائد .. ثم إننا نحاول أن نكون علميين منطقيين ، فلا مجال للمقالب الطريفة هنا .. ما علينا .. يبدو أننا سننتظر مكالمتك هذه من جديد ..

(الأغنية من جديد) ..

شريف :

يبدو أن الانتظار .. (رنين جرس الهاتف) .. آلو ؟

صوت رجل :

هالو .. هل د. (رفعت) معك ؟

رفعت :

نعم .. نعم .. هل من مشكلة يا سيدي ؟

الرجل :

اسمى (مسعد أبو الذهب) .. ولدى مشكلة .. هل يمكنني

الكلام ؟

شريف :

تفضل .. نحن موجودون هنا من أجلك ..

مسعد :

أعتقد أن زوجتي كانت تريد أن تأكلني !..

* * *

الحلقة الأولى

الزوجة تعرف أكثر

يحكيها (مسعد أبو الذهب)

كدت أنبو لأسألها عما هنالك ، ثم أحجمت عن ذلك ..
لقد كان المشهد مهيئاً رهيباً لا يغري بأن تجرب حظك
وتقترب .. في هذه اللحظة فقط عرفت أنني لا أعرف
الكثير عن (شيرلى) زوجتى الأمريكية ..

رفعت :

هذه مشكلة فريدة من نوعها .. ولسبب ما يتعلق بالهندس
أعتقد أنك لا تمزح يا سيدى .. يبدو أن لدينا حشداً من الرجال
توشك زوجاتهم على التهامهم الليلة ..

مسعد :

لا أفهم ما تقول فلنا لا أسمع البرنامج .. أنا أتكلم من مكتبى ..

شريف :

يبدو لى صوتك وقوراً يا سيدى ، فلو اتضح أنك تمزح

رفعت :

لا أعتقد .. يا شريف .. ثق بى .. أعرف نبذة الصديق عندما
أسمعها كما عرفت نبذة التهريج من قبل .. فقط لنسمع القصة
من البداية يا مستاذ مسعد ..

مسعد :

أنا مهندس فى الخمسين من العمر .. قضيت شطراً لا بأس به
من حياتى فى الولايات المتحدة وعدت مؤخراً .. أصلاً أنا من
المنوفية ، وقد أدر أهل كل قرش كى يجعلوا منى مهندساً ، ثم
تخرجت فى الكلية وظفرت بتلك البعثة للحصول على الدكتوراه ..

رفعت :

أنت تحكى قصة حياتى بشكل آخر ..

مسعد :

فى ذلك الوقت حدث الخلاف الشهير بين الرئيس عبد الناصر وحكومة الولايات المتحدة ، وتم إلغاء كل البعثات التى تدرس فى الولايات المتحدة ، وتم تحويلها إلى الاتحاد السوفييتى .. يصعب أن تجد دكتوراه من الولايات المتحدة فى تلك السنين ، ولكنى كنت قد تزوجت من فتاة أمريكية لذا تركتها فى الولايات وعدت لمصر حيث قمت ببعثة الاتحاد السوفييتى .. بعد الحصول على الدكتوراه عدت إلى الولايات وعملت هناك ..

رفعت :

كل هذا جميل .. لكنه لا يدل على أن زوجتك تريد التهامك لو أردت رابى ..

مسعد :

اصبر على قليل .. عرفت زوجتى ساقية فى كافيتيريا فى كاليفورنيا .. كانت جميلة أو هكذا رأيتها ، وعندما تكلمت معها وجدتها على استعداد لأن تعرف المزيد عن المصرى الأسمر القادم من بلاد التماسيح حيث يركبون الأقبال .. أنت تعرف هذه

الصورة الضبابية لدى الغربيين عن مصر .. جوار وعبيد سود وأفندية بالطرابيش .. هكذا وقعت فى حبى وتزوجنا .. اسمها كان (شيرلى دوفر) قبل أن تصبح (شيرلى أبو الذهب) كما تنص العادات الأمريكية ، وقد كانت مدرسة ثم تركت التدريس .. سرعان ما رزقت بطفلين (نانسى) و(محمود) ، وبشكل ما شعرت بأننى غرست جذورى فى ذلك البلد للأبد .. لديك طفلان يتكلمان الإنجليزية ولا يعرفان لهما وطنًا سوى تلك الأرض ..

رفعت :

يبدو من كلامك أنها زوجة طيبة .. ليست من الطراز إياه ..

مسعد :

لقد عرفت طباعى .. على كل حال استمرت حياتنا هادئة .. الآن طفلاى فى سن المراهقة ، وقد خطر لى أن الوقت قد حان لأن يمر بهذه المرحلة الصيرة فى مصر .. أنت تفهمنى .. لا أريد أن تطالبنى الفتاة بالخروج مع صديقها ، أو أن أجد الولد يدخل الماريجوانا مع رفاقه ..

شريف (فى قلق) :

المشكلة يا سيدى .. المشكلة من فضلك .. ليس البرنامج أبدًا ..

مسعد :

اصبر قليلاً .. يا أخى أنت العربى نافذ الصبر ، بينما أنا انقسام
من بلاد العجلة الدائمة أطالبك بالتعمل .

شريف :

ربما أنت مصرى أصيل .. والآن أرجو أن تدخل فى الموضوع .

مسعد :

فى سن الأربعين ، بدأت زوجى تمر بأعراض عصبية عريضة .
كانت تتشاجر بسهولة وتضرب الطفلين ، ولم تعد تطيق أية كلمة
أقولها ..

رفعت :

هذه سن مبكرة بالنسبة لتغيرات من الإيلاس الفسيولوجية
من الإيلاس هى سن انقطاع الدورة ، وهنا تلعب الهرمونات ألعابا
شيطانية كما تعرف .. إن بعض النساء يتحولن إلى نمور مفترسة
لأن فكرة فقدان الأنوثة تثير جنونهن .. دعك من أن فقدان هرمون
الإستروجين كارثة ..

مسعد :

ليس الأمر كذلك . إنها من امرأة تحتفظ بتوتتها طويلا فقول
إنها صارت عصبية ، وصارت موانعة بأن تعس من يختلف معها "

رفعت :

تعض !!!

مسعد :

نعم . ربما تحسنى أمرح لكنها الحقيقة . كانت عندما ضابقتها
(نانسى) تمسك بمعصمها وتعضه .. عندما ضابقتها (محمود)
انصرفت حلمة أمه بين أنبائها حتى صرخ ألما .. دعك من أن
شهيتها لأكل اللحوم تزايدت بحق . كانت تتناول اللحم فى الإفطار
والغداء والعشاء . أصابها هذا بإمساك مزمن عنيف . رائحة
أفلامها تذكرنى برائحة قفص الأسود فى حديقة الحيوان .

رفعت :

هذا لا يدل على شيء . إن اختيارنا لطعامنا يعتمد على حالتنا
النفسية بشكل كبير .. دعك من أننى لا أعفك من المسئولية ..
إن العمل وفتور الحياة الزوجية بسبب طول المدة يشعران
الزوجة بأنها شيء مهممل فى البيت .. ماذا تفعل ؟ .. تخرج
عصبيتها على شكل مشاهة زائدة ..

مسعد :

ربما .. لكن ليس إلى حد اختفاء اللفظ !

رفعت :

هناك قط مختلف كذلك ؟

مسعد :

أنت تعتقد أنني محنون .. لكنى أؤكد لك أننا كنا فى الولايات واختفى القط الجميل (بنسى) . بحثنا عنه طويلاً فلم نجده .. هل التهمته القنران ؟ ..

رفعت :

هناك ألف سبب لاختفاء قط سوى السبب الذى تحاول إقناعى به

مسعد :

على كل حال كان هذا هو الوقت الذى ظهرت فيه (سامانتا) كنا نستعد للسفر إلى مصر وقد اعتادت (شرلى) أن تغادر البيت للتسوق واعداد الأشياء التى ستأخذها معها . وكنت وحدى فى الدار عندما دق حرس الباب .. فتحتُه فوجدت سيدة عجوزاً قالت لى إن اسمها (سامانتا بلامر) .. كان هذا مبرر كاف للسماح لها بالدخول . قالت لى إنها خبيرة أنساب وإن ما لديها مهم جداً ولن يستغرق شيئاً من وقتى .. يجب أن نتكلم قبل أن تعود السيدة (أبو الذهب) من الخارج .. سمحت لها بالدخول . كانت قصيرة القامة نحيلة جداً فى ثيابها شىء من الخيال . حطر لى

أنها أقرب إلى ساحرة عجوز أو وسيطة روحانية . أغرب شىء أنه كانت لها صغيرة طويلة بيضاء تصل إلى ردفها .. لمسة طفولية جداً لا تناسب سنها ..

على كل حال كان كلامها مختصراً جداً . قالت لى إنها تعتقد أن زوجتى من أسرة (دونر) .. قلت لها إن هذا استنتاج عبقرى . اسم زوجتى كان (شيرلى دونر) فماذا تتوقع ؟

هنا أخرجت تلك الشمطاء لغافة تبغ أشعلتها وضحكت حتى غلبها السعال . ثم قالت : هذه حادثة شهيرة جداً فى التاريخ الأمريكى . فى العام 1846 كانت للهجرة إلى الغرب فى ذروتها .. ملايين الرواد قطنقوا بعربتهم نحو الغرب وسط أراض معادية وبيئة قاسية وهنود صمموا على الدفاع عن أرضهم .. من بين هؤلاء كانت جماعة (دونر Donner) التى سافرت فى قافلة تتكون من 87 مهاجراً متجهين إلى كاليفورنيا .. كانت الطبيعة قاسية معهم وقد حصرهم الجليد فى لوتاه .. البرد والجوع والخوف .. مات أربعة منهم . ثم وجد الياقون أن الطعام قد نفذ وأن عليهم إذا أرادوا الحياة أن يلتهموا اللحم البشرى .. فى البداية أجروا قرعة لكنهم لم يجنوا الشجاعة لتنفيذ ما أمته هذه .. فكروا فى أكل الأدلة الهنود لكن هؤلاء فضلوا الفرار وسط الثلوج . هكذا اضطر اليوساء لأكل من ماتوا منهم .. بعضهم فضل الانتحار وبعضهم جن .. ولم ينج إلا نصفهم فى يناير 1847 ..

قلت لها : إنها لقصة رهيبه لكنى لا أعرف علاقتها بى ..

قالت : لقد نجا كثيرون من أسرة دونر .. من بين هؤلاء الشقيقتان الطففتان (جورجيا) و (إيزا دوسر) .. لكن القصة الرهيبة اشتهرت فى التاريخ الأمريكى ونسجت حولها أساطير عدة . أنا مهتمة بهذا الموضوع ويمكننى أن أعرف بتضبط أين ذهب كل واحد من هؤلاء اليوم .. زوجتك الرقيقة واحدة من أحفاد (جورجيا دونر) التى تزوجت ابن عمها ..

قلت لها فى عصبية : وعلام يدل هذا ؟ البشر يتكاثرون ويتزاوجون وينتشرون فى الأرض .. ربما كنت أنا من أحفاد دراكيولا أو يوليوس قيصر . فهل يدل هذا على شيء ؟

قالت لى إنها كلما بحثت عن واحد من أحفاد (دونر) وجدت أن شيئاً مريباً أصابه فى سن الأربعين . أكثرهم يصاب بتحريف نفسى ويدخل المصحة فى هذه السن . وبعضهم يتحرر . لكن هناك أكثر من حالة موثقة من حالات أكل لحم البشر . هذه هى الحقيقة .. ثمة ميل غير مفهوم لدى أحفاد دونر لأكل اللحم البشرى .. هذا الميل يبدأ فى سن الأربعين . لا أحد يعرف سبب تحول هؤلاء إلى عشيرة من العيلا ولا لماذا ورثت هذه الصفة . لكنها الحقيقة ..

رفعت :

لحظة .. أنت تعرف كما أعرف أن كلام تلك السيدة هراء .. (لامارك) قال إن الصفات المكتسبة تورث . لكن من قال إن انتهام اللحم البشرى لمدة تقل عن عام صفة قابلة للتوريث ؟ .. هل دخلت هذه العادة التركيب الجينى لهؤلاء ؟

مسعد :

أنا لست طبيباً يا د . (رفعت) ولا أفهم حرفاً مما تقول .. فقط أنا أنقل لك بأمانة ما قيل لى وما رأيت ..

شريف :

أرجو أن تكمل ..

مسعد :

سألتنى السيدة عما إذا كنت لاحظت تصرفات غير مفهومة لدى زوجتى ، فقلت لها لا . قلت إنها تأمل ألا أكون كاتباً .. كنت عفيفاً غليظ الطبع معها ، وأعتقد أننى كنت أقرب إلى طردها من دارى .. من الصعب أن يتظاهر المرء بالرقعة مع امرأة تقول له إن زوجته غول .. قالت لى وهى تهتم بالانصراف : فقط أردت أن أذكرك .. عرفت أنك وزوجتك ذاهبان مع الأطفال إلى مصر .. هناك ستجد نفسك بعيداً عن الولايات وعمن يعرفون ما يجب عمله .. أريد أن تكون حذراً ..

رفعت :

طبعاً انصرفت تاركة لك تذكيراً مهماً : القلق ..

مسعد :

سأكون مبالغاً لو قلت هذا .. ما قالته كان كلاماً عاماً لا أهمية له ولا تفوح منه رائحة الصدق .. عادت زوجتى من الخارج بعد قليل فلم أخبرها بحرف عن هذه الساماتنا .. فقط أثناء تناول العشاء رحت أوجه أسننة حذرة عن أسرتها .. قلت لى إنها لا تعرف الكثير عن جدودها .. لقد جاءوا من الشرق فى زمن الهجرة الكبرى ، واستقروا فى أرض كاليفورنيا الخصيبة .

بعد هذا تركنا الولايات وجئنا إلى مصر ..

رفعت :

هل حدث شيء غريب ؟

مسعد :

بعد زيارة أهلى فى المنوفية ابتعت بيتاً هو أقرب إلى فيلا فى الهرم . واستقررت فيه ، كما اتخذت لنفسى مكتباً قريباً .. كانت هى منبهرة بمصر الفرعونية لا المعاصرة ككل الأجانب . وقد كونت عدة صداقات والتحق الطفلان بالمدارس هنا . فى البداية كان كل شيء على ما يرام والحياة هادئة ، وبدأ لى أنما نتأقلم بسرعة .. حتى كانت تلك الليلة ..

كما قد نمنا مبكراً ، وفى الثالثة صباحاً صحت من النوم لأن مائتى توشك على الانفجار .. نهضت فلم أجدها فى الفراش جوارى . نهضت أبحث عنها فى البيت كله لكن لا أثر لها .. ثم وجدتها .. كنت قد غادرت البيت من الباب الخلفى ، ودرت حوله عبر مساحة خالية فيها رمال رطبة .. هكذا رأيته من بعيد تقف قرب الباب الأمامى .. وجدتها تقف فى الخارج فى ضوء القمر .

كلمت حافية القدمين متصلة تنظر إلى القمر فى ثبات . كان ظهرها لى فرأيتها تتحسس رأسها كأن قبلة توشك على الانفجار فيه ، ثم جثت على ركبتيها وراحت تتلوى وهى تمسك بصدغيها .. كدت أدنو لأسفلها عما هناك ، ثم أحجمت عن ذلك .. لقد كان المشهد مهيناً رهيباً لا يغرى بأن تجرب حظك وتقرب .. فى هذه اللحظة فقط عرفت أننى لا أعرف الكثير عن (شيرلى) زوجتى الأمريكية ..

رأيته تنهض وهى تتشنج .. كل عضلة فى جسدها تتشنج .. ثمة شيء غير بشرى فى هذا المشهد .. ذيل السحلية .. نعم . ذيل السحلية المبتور .. هل رأيت كيف يتلوى ؟ ..

ورأيته تدخل إلى البيت .. هكذا مشيت وراءها خلسة فرأيته يتجه إلى غرفة النوم .. فتحت فمى لأقول لها إننى هنا ، لكننى توقفت ..

كانت الآن توليني ظهرها حيث وقفت داخل الغرفة عند رأس الفراش في الظلام ، وهي تنظر إلى الغطاء المكون الذي يفترض أنني نائم تحته .. رأيته تفتح أصابعها وتغلقها كأنها المخالب .. ثم تنحنى في حذر لتقبض على طرف الغطاء .. وهنا فقط عرفت أنها تزوم كالوحوش .. تزوم ..

في لحظة انتزعت الغطاء بحركة برامية مفاجئة .. فلم يكن تحته شيء طبعاً .. أقسم أنها أصدرت زليراً يعبر عن خيبة الأمل ..

استدارت لكنى كنت قد توقعت هذا ، فهرعت لأركض عبر الردهة إلى غرفة الأطفال وقلبي يتوثب في فمي ..

في الداخل كانت نائسي ومحمود نائمين .. كل واحد في فراشه يحتضن دميته المفضلة . لا تلتصق أنهما لم يجتازا عتبة الطفولة بعد ليصيروا مراقبين بالكامل .. لسبب لا أعرفه دخلت الغرفة وأغلقت الباب خلفي بالمزلاج ..

وقفت في الظلام متلاحق الأنفاس أصغى للصوت في الخارج .. ثم سمعت اللهات .. سمعت الفحيح .. رأيت مقبض الباب يتحرك في محاولة للفتح . وسمعت صوتها تقول بالأمريكية : هيه .. افتحاً أيها الطفلان !.. مامي هنا !.. لماذا أغلقتما الباب ؟

نهض الصغيران ولم يفهما ما يحدث . نظرا لي في رعب فاحتضنتهما ..

ماذا أقول وماذا أفعل ؟

بعد قليل توقفت القرعات .. وشعرت بأنها ابتعدت .. فتحت باب الحجرة في حذر وخرجت .. أين هي ؟.. وجدتتها نائمة تغط في الفراش وقد بدا كأنها مشيت عدة أميال .. في الصباح لاحظت الأطفل أن قطناً اختفى القطن الشيرازي الجميل الذي ابتاعته من المعادي قد اختفى ..

وقفت :

قط آخر كالعادة .. تلك الحيوانات البائسة التي تضحي بأنفسها من أجلنا . يمكن القول إذن أنها أخدمت هذا الجوع الوحشي الحيواني الذي باغتها ..

مسعد :

لا يمكن فهم الأمور على ضوء آخر شمة نداء سمعته وهي نائمة .. حاولت أن تقنوم . خرجت إلى الهواء الطلق لكن الأمور ساءت .. الزوج الأحق لم يكن في الفراش ، إذن ماذا عن غرفة الأطفل ؟

شريف :

وعلاقتك معها بعد تلك الليلة ؟

مسعد :

لا يمكن القول إنها تغيرت .. فى الصباح بدا لى الأمر سخيفاً .. شعرت بأننى كنت أهلوس لا أكثر ، وقد سألتها عن سبب خروجها فأنكرت فى صدق أنها غادرت فراشها أصلاً .. الأولاد سألوها أسئلة محرجة لكنها أنكرت كل شيء . فى الواقع بدا لى أننى كنت أحلم .. فقط عندما يأتى الليل تعاودنى تفاصيل المشهد ، وأقول لنفسى إننى أنام وأولادى فى بيت فيه امرأة من أسرة (دور) . امرأة يبدو أنها تعانى حنيئاً شديداً لحدودها ومزاجهم فى الأكل .. أحياناً أشعر بذلك الشعور الغريب بأنها غريبة على تماماً . من جاء بها هنا تحت سقف بيتى ؟

رفعت :

يطلقون على هذا الشعور بالاغتراب اسم Jamais vu .. يمكن القول إنك لا تنام على الإطلاق إذن ..

مسعد :

نعم . نعم . أظل مفتوح العينين طيلة الليل وأنهض كل ربع ساعة لألقى نظرة على الأطفال النعمين .. أخفى مديّة تحت اللومسلة وأصمم على بيع نفسى بثمن باهظ .. اللعينة تنعم بحياتها وتنام فى سلام . لن تصحو إلا عندما يغلبنى التعب .. وعندها ..

رفعت :

هل فكرت فى احتمالية أن تقوم بتخديركم ؟

مسعد :

نعم .. لهذا لم أكن أتناول أى شيء من يدها قرب المساء .. لا أعتقد أنها ستخدرنا يوماً كاملاً على كل حال ..

رفعت :

لاحظت أنك تستعمل الفعل الماضى على طول الخط .. هل تغيرت الظروف ؟

مسعد :

إلى حد ما ..

رفعت :

أين زوجتك الآن ؟

مسعد :

فى الحمام ..

رفعت :

وأين الأطفال ؟

مسعد :

عند عمتهم فى المنوفية ..

رفعت :

حسن .. أنت تتكلم من المكتب فكيف عرفت أن زوجتك فى الحمام ؟ .. لا أعتقد أن العلاقة الروحية بينكما بهذه القوة .
إلا لو كانت قد أخبرتك هاتفياً ..

مسعد :

دعك من هذه التخمينات .. أردت أن أخبرك أنني وجدت الليلة مظروفاً يحوى بعض الأوراق التى قررت زوجتى أن تخفيها عني .. إنها مصابة بنوبات صرعية من نوع فريد . يبدو أنه ما يظنقون عليه الصرع النفسى الحركى .. هناك تقرير من الولايات معها فى حاجياتها ..

رفعت :

هل يفسر هذا تلك التشنجات الغريبة والسلوك العجيب ؟ .. أعتقد هذا .. إن الصرع النفسى الحركى يمتاز بسلوكيات غريبة ، وفى الآن ذاته لا يسقط المريض على الأرض ويتشنج كما يعرف الناس عن الصرع ..

مسعد :

ربما .. لكن الألوان قد فت لمعرفة هذا .. أنا كنت مرهقاً بعد شهر طال عدة أيام ، والأطفال لم يكونوا فى الدار .. نمت فى حجرتنا بعض الوقت وكانت هى فى المطبخ . صحت من نومى فجأة لأجدها تقف جوار الفراش وهى تتشنج بتلك الطريقة الغريبة .. عيناها جاحظتان والزبد يسيل من شديها .. جن جنونى .. لم أعد لطبق هذه الحياة ولا لتحملها . لقد تهاوى جهازى العصبى فعلاً .. هكذا مللت يدى تحت الوسادة وأخرجت المديرة ، ورحلت أغعدها فيها مراراً ولما أصرخ : موتى أيتها الشيطانة ...!.. موتى !.. لم أكن أنا من يصرخ ويظعن .. توترى هو الذى كان يفعل .. سقطت على الأرض جثة هامدة فجررتها إلى الحمام حيث المغطس .. بدلت ثيابى ثم جريت لأفتح الخزانة التى تحفظ فيها أوراقها الخاصة .. لريت لن أعرف . كان أول ما وحنته هو تلك للتقارير .. زوجتى كانت مريضة جداً .. زوجتى لم تكن غولاً .. عندما دخلت غرفتى وقترعت غطاء الفراش وعندما دقت على باب الصغيرين كانت تبحث عن عون بشرى لا أكثر . فقط تلك لا (سلماتنا) كهريت حياتى وملأها ذعراً ..

شريف :

لكن هناك قطين اختفيا .

مسعد :

كما قال د (رفعت) : القطط تختفى لألف سبب غير أن يكون أحدهم قد اتهمها ..

رفعت (فى ذهول) :

هل تعنى أنك ؟ .. تتكلم معنا بعد أن .. ؟

مسعد :

نعم .. أنا قاتل يا سيدى .. لقد انتهى كل شىء ، لكننى قررت أن أذهب لمكتبى لتناول آخر قهوه له رائحة الحرية ، سوف أتصل بالشرطة بعد انتهاء مكالمتى هذه لكننى أردت أن أتصل بك أولاً ..

شريف :

لماذا ؟ .. إن قصتك واضحة كالشمس الآن .. أليمة لكنها واضحة .. ما للغامض فيها ؟

مسعد :

ليست هذه القصة سبب اتصالى .. فقط أردت أن أسأل د . رفعت عن موضوع مطاردة أشباح القتل لقاتليهم . هل هذا صحيح ؟ .. هذا هو سبب المكالمة !

رفعت :

أحياناً يحدث هذا وأحياناً لا يحدث .. هذه هى إجابتى وأرجو أن تكون مرضية لك ! .. لكنى سأقدم لك عزاء بسيطاً .. على الأرجح يكون سبب الصرع النفسى الحركى شيئاً ما فى الفص الصدغى للمخ .. أعتقد أن زوجتك تعانى وربما فى هذا الموضع .. لو لم تكن قد منعت لأعلن الورم عن نفسه ، وكانت ستموت على الأرجح ..

مسعد :

فى هذا بعض العزاء لرجل فقد زوجته وأسرته ومستقبله فى ليلة واحدة .. شكراً لكما .. سوف أفرغ من لفافة التبغ هذه وأطلب الشرطة ..

(يضع السماعة) ..

شريف :

يا لها من ملأمة ..

رفعت :

هى امرأة فقدت حياتها لأن اسم أسرتها (دونر) . على المرء ألا يتصرف بشكل غريب عندما يكون من نسل أسرة تاكل لحوم البشر .. أرجو أن تكون الحلقة القادمة أكثر مرحاً ..

الحلقة الثانية

تحدث !

بمكيها (كامل)

لا أعرف إن كان هذا كله صحيحاً أم أنني أهذى ..
القصة أنهم أحياء وموجودون وعليك أن تتصرف يا دكتور
(رفعت) ..

شريف :

هذه حلقة أخرى من (بعد منتصف الليل) .. قصصكم هي
الوقود الذى يشغل آلة الرعب للأبد ، وفى ظنى أن المكالمة
الأولى لن تتلخر كثيراً ..

رفعت :

كلما قلت هذه العبارة تأخرت المكالمة الموعودة .. أقترح أن
تصمت ..

شريف :

هل أنت فعلاً متشائم كما يقولون عنك يا د . (رفعت) وكما
تحاول إقناعنا ؟

رفعت :

هذه هي فلسفتى .. دائماً أتوقع الأسوأ وفى كل مرة يتضح أن
توقعاتى كانت أسوأ من الحقيقة . هذا جعل الحياة بالنسبة لى
سلسلة من المفاجآت السارة !.. المتفائلون فى رأى هم أكثر
الناس إصابة بخيبة الأمل ، بينما أنا أتوقع مثلاً أن يسقط علينا
نيزك فى هذه اللحظة . لو لم يحدث هذا شعرت بأننى محظوظ وأن
للحياة أجمل مما نظن !.. قرأت قصة حياة (ماجلان) فعرفت أنه
كان يؤمن بأنه ولد فى برج نحس .. هذا جعله شاككاً أكثر من

اللازم .. أى رحالة سواء كان التفاؤل سيدفعه إلى عدم الاستكشاف داخل اليابسة ، لكن ما جلان بسبب شكه فى حظه توغل أكثر من اللازم ، ووجد مضيق ماحلان ..

شريف :

أى أن التشاؤم نوع خاص جداً من التفاؤل ..

رفعت :

لا أدرى .. فقط هو طريقة تجعلنى أرى الحياة جميلة !

(يندق جرس الهاتف)

رفعت :

هل ترى ؟ .. كنت أتوقع ألا يتصل أحد ..

شريف :

نعم .. نعم .. المهم ألا تكون ربة بيت تطلب من البقال شيئاً وكيلوجراماً من السكر .. ألو .. مساء الخير ..

سيدة :

مساء الخير .. من حسن الحظ أنكم لم تغلقوا بعد .. أنا لن أتعامل معكم ثانية ..

شريف :

هذا غريب .. نحن لم نتعامل بعد يا سيدتى كى تقررى هذا القرار ..

السيدة :

هل أنت (مصطفى) ؟ . قلت لك إننى أريد أن تكون العكاوى بلدية . وطلبت أن تكون الأقارع (بنتى) ولا تكون منفوخة .. عندما جلب لى الولد هذه الأصناف حسبت أنه أخطأ العنوان .. أعتقد أن المعظم (بيومى) قد انصرف الآن . سوف تكون لى كلمتان معه صباحاً ..

شريف :

فى الحقيقة يا سيدتى نحن هنا فى برنامج (بعد منتصف الليل) ولم نبيع لك أى لحم أو أقارع .. أعتقد أنك أخطأت الرقم مع جزائر الحى ..

السيدة :

آه . عدم المواجهة .. لكنك تفهم هذا الشعور بالفض .. لو لم اتصل فى ذات الليلة لجنت ولما استطعت النوم لحظة .. لم يعد لدى الناس ضمير ..

(تضع السماعة)

رفعت (يضحك في استمتاع) :

هناك نقطة إيجابية في هذا الموقف ..

شريف :

ما هي ؟

رفعت :

إن المشاهدين متأكدون يقيناً من أن مكالماتنا أصلية وليست منققة ..
هناك من اتهمنا بأنها مكالمات مكتوبة سلفاً يؤديها ممثلون ..

شريف :

أنا حريص على ألا يتم أي نوع من ترشيح المكالمات قبل
سماعها .. يمكن التخلص من هذه المضايقات بسهولة لو أن
موظفاً أخذ منها بيتاً مختصراً عن سبب المكالمات قبل تحويلها ،
لكني مصرٌّ على ألا يحدث هذا ..

رفعت :

على كل حال العكاوى موضوع محبب للجميع .. لا أحد
يتضايق من الكلام عن العكاوى لو أردت رأيي ..

شريف (في ضجر) :

بصراحة لا أعرف ما هي ولا يهمني أن أعرف .. أنا بانتظار
المكالمة ..

رفعت :

المنزع المحترف لا يعترف أبداً بأنه يجهل العكاوى .. في الواقع
المنزع المحترف لا يعترف أبداً بأنه يجهل أي شيء .. العكاوى
هي ذيل الذبيحة .. من الممتع دائماً أن تعدها مع البطاطس في
صينية تدخل الفرن .. غير أن الكولسترول سوف ..

(رنين الهاتف)

شريف :

ألو .. برنامج بعد منتصف الليل .. نحن بانتظار مشكلتك
يا سيدي ..

صوت شاب :

مساء الخير أو صباح الخير .. أنا (كامل) ..

شريف :

على الأرحح هذا اسم مستعار .. لا يهم .. تفضل ..

كامل :

لا أعرف إن كان هذا كله صحيحاً أم أنني أهذى .. القصة أنهم
أحياء وموجودون وعليك أن تتصرف يا دكتور (رفعت)
(يرتجف صوته منزعجاً بالبكاء) ..

رفعت :

أعرف هذه النفخة . هل أنت متأكد من أنك لا تتعاطى علاجاً
يا بنى ؟ هل ثمة طبيب نفسى يتابعك ؟

كامل :

أنت مثل الآخرين .. تتكلم مثلهم .. من الواضح أنني أخطأت
بالإتصال بك ..

رفعت :

سامحني يا بنى .. المرء يسمع الكثير من الهراء ، لكن السمة
للعمامة نهرام هذه الأيام هي نفخة (إنهم يلاحقوننى) . يطلقون على
هذا اسم (الباراتويا) .. لابد من وجود (إنهم) فى الموضوع ..

كامل :

على كل حال أنا فعلاً راغب فى أن أتكلم حتى لو لم تصغ .
لنا الآن فى كابينة سنترال عمومية فى مركز .. لالين أقول .. للعامل
غاف على المكتب والكابينة مغلقة فلن يسمع أحد ما يقال ..

رفعت :

لكنك تتكلم عبر الراديو . ولا تسألنى عن رأيى فى السر الذى
يقال ليسمعه كل من يملك جهاز مذياع ..

كامل :

لا أحد يهوى برنامجك ممن أعرفهم .. ثم إن المركز فقير جداً ..
لا أعتقد أن هناك أكثر من أربعة أجهزة مذياع ولا يوجد جهاز
تلفزيون على ما أعتقد ..

رفعت :

حسن .. واضح أن مشكلتك ملحة .. هل لك أن تبدأ ..

كامل :

قنت لك إنهم هنا . فى البدء كانت مجرد قصص وكنت أسخر
منها .. ثم جاء (صالح) باحتمالاته وتحدياته .. من المصادفة
أن يذاع برنامجك فى هذا الوقت بالذات ..

شريف :

(كامل) .. نحن لا نفهم أى شيء ..

(*) لا تنس الزمن الذى تدور فيه الأحداث .

كامل :

حسن .. أنا طالب أدب من قرية (....) التى تقع ضمن هذا المركز .. أدرس فى القاهرة طبعا .. (صالح) هو ابن عمى الذى أمضى كل حياته فى القاهرة .. إنه شاب قوى الشخصية والجسد مفا .. ربما قوى العقل كذلك .. باحتصار هو قادر على قيادة أية مجموعة يكون فيها ..

لقد عاد (صالح) إلى القرية عاد ومعه عشرات القصص عن القاهرة ومغامراته هناك .. كنا نجتمع حوله قرب حقل الذرة ونسمع قصصه التى لا تنتهى .. كان خبيراً فى شئين ..

رفعت :

النساء والعفريت !

كامل :

كيف عرفت ؟

رفعت :

للقصة دوماً هكذا .. هناك قصة رائعة لـيوسف إدريس تحكى عن شباب التفوا حول خبير منهم مثل هذا .. لكنه كان يحكى عن المنصورة .. وكلفهم هذا رحلة قسية إلى المدينة التى لم ترحمهم ..

كامل :

عندما كنا نعود إلى الدار كان يحتفظ لى بقسط خاص من القصص لأننى قريبه .. على المرتبة على الأرض كان ينام على ظهره محدقاً فى الظلام ويحكى لى الكثير جداً .. أحياناً يتسلل ضوء الفجر الشاحب ليغمرنا ونحن لم نلم بعد ..

قال لى إن مقابر القرية ليست خالية ولا تمتلئ بالعظام النخرة كما أظن .. سأنته عما يقصده فالتزم الصمت .. فقط قال إن كل شيء (تحت) .. (تحت) هى الكلمة التى كان يصف بها عالمًا غامضاً تحت الأرض لا أعرف ما هو لكنه مخيف بما يكفى ..

لم أفكر فى الأمر جدياً إلى أن اختفى (عبد الستار) .. هذا طفل فى السابعة من أعمار القرية .. فى العادة يُعامل الأطفال هنا كالنجاح .. فى الصباح تطعمهم الأمهات ثم تطلقهم .. يلعبون ويلتقطون رزقهم ، ثم فى المساء تقف كل أم بانتظار عودة بجابها إلى العشة لنطعمه وتنيمه .. (عبد الستار) لم يعد فى المساء وبحث الجميع عنه .. الأمكن المختلة للثور على الجثث فى الريف محدودة ومنها (المسقى) ووسط أعواد الذرة وتلك الوهدة خلف الجمعية الراحية .. لم نجد جثثاً .. جاء من يحقق فى الأمر من المركز ، ولم يتبين شيء وتقرر حفظ القضية ..

نحن قرية وادعة . كلنا يعرف بعضه .. لا يمكن أن أجد من يصلح لخطف طفل أو قتله .. لكن ابن عمي كان يعرف ..

رفعت :

طبعاً قال : إنهم هؤلاء الذين يقيمون (تحت) ..

كامل :

بالطبع .. قال لي وعينه متسعان : إنهم هم يا (ناجح) .. أنا أعرف أنهم هم . الصبي كان يلعب قرب المقابر فأخذوه ..

قال لي إنهم عشيرة أو أسرة تعيش هناك منذ قرون ولها قوانينها الخاصة يأكلون ما يجدون وهو كثير فإن لم يظفروا بطعام خرجوا يبحثون عن الأحياء .. منذ زمن لم يمت في القرية أحد . لهذا يمكن أن نفهم لماذا اختفى الطفل لقد كانت المقابر خاوية لفترة وهذا جعلهم يجوعون ..

لم أصدق حرفاً .. سخرت منه كثيراً ..

رفعت :

لحظة .. لماذا عرف ابن عمك ما عرف ؟ .. ما الذي ميزه عن عجائز القرية مثلاً ؟

كامل :

هو سمع هذه القصة من عمي - رحمه الله - .. وقد صدقها تماماً .. كان يرغب في أن يتخذ مدافعاً جديداً لعمي ، لكن عمي قال له إن عليه أن يعامله كأي واحد من أبناء القرية .. فليحدث له ما يحدث لهم ..

رفعت :

مفهوم .. وماذا بعد ذلك ؟

كامل :

أعتقد أنني تجاوزت بسخريتي لحد المعقول .. أعتقد أنني جرحت كبرياء ابن عمي .. أعتقد أن الأمر صار أقرب للكرامة لأنه أصر على أن ينزل إلى المقابر بنفسه ليرى ما يحدث (تحت) .. قال لي إنه سيعود بالتصبي لو جثته ، وسوف يخرسنا جميعاً .. حاولت أن أثنيه فقال لي في سخريه : أنت تخاف مع أنك تؤمن بأنه لا يوجد شيء .. كيف ؟

رفعت :

الإجابة هي فوبيا الموت طبعاً .. كل ما يتصل بالموت رهيب غامض . القبول البدئية تحكم على من يلمس ميتاً بأنه Taboo وقد يموت جوعاً لأنه ممنوع من لمس الطعام . لو صح كلام (ينج Jung) فبنا في لا وعينا الجمعي نفكر كالقبائل البدئية تماماً ..

كامل :

سأكون شاكراً لو اذخرت الفلسفة إلى وقت آخر .. ليس هذا وقتها ..

رفعت :

هي ليست فلسفة بل علم اجناس .. على كل حال سأصمت ..

كامل :

كانت ليلة جمعة وقد أعد كشافاً وحبلاً وخنجرًا ثم ودعني حتى اللحظة الأخيرة كنت أحسبه يمزح .. لن يفعلها .. لكنه انطلق نحو المقابر بينما بقيت أنا في الدار أرتجف .. وبالطبع مرت الليلة كلها ولم يعد .. في الصباح جاءت زوجة عمي تسأل إن كان بات عندنا أم لا .. آخر ما سمعته عنه هو أنه شوهد متجهاً للمركز بعد منتصف الليل .. طبعاً أنت تعرف أن هذا كلام خاطئ على الأرجح .. هنا فقط بدأت أشعر بذعر حقيقي .. ماذا حدث ؟ .. ماذا رآه ؟

ظللت صامتاً بضعة أيام بينما البحث جارٍ عنه .. في النهاية لم أعد أتحمل .. أنا أصدق أصدقائه وقريبه .. أنا الوحيد الذي يعرف أين هو ..

قلت لأقربنا إنه (تحت) .. فضحكوا وسخروا مني .. لم يكن أحد على استعداد لسماع ما أقول .. ولكن .. (في رعب) .. لحظة .. (لحظات صمت)

شريف :

(كامل) .. هل ما زلت معنا ؟

رفعت :

اسمه (ناجح) .. لقد تعثر لسانه كما يحدث دائماً .. في كل مقابلة ينسى المتصل اسمه المستعار في ثلثها الأخير .. لكن أين هو ؟ كامل (يتنهد) :

لا شيء .. خيل لي أن هناك من يسترق النظر لي عبر زجاج الكابينة .. لا يوجد أحد سوى الموظف النائم وأنا .. المنطقة مهجورة .. إنتى متوتر جداً ..

رفعت :

معك كل الحق .. لكن أكمل القصة ..

كامل :

هكذا قررت أنا بدوري أن أنزل (تحت) لأرى ما يدور هناك ..

شريف :

هذه شجاعة غير مسبوقه ..

كامل :

الشجاعة الحقيقية كانت ان ابقى فى دارى واتحمل تائب
الضعير والقلق .. لا .. صدقتى .. لقد اخترت أهون الخطرين ..
كان هذا منذ ساعتين ..

رفعت :

هل تعنى أنك عائد من هناك لتوك ؟

كامل :

نعم . ما زال تراب المقابر يلوث ثيابى وشعرى .. لقد
تزودت بكشاف وحبال وخنجر .. لا أعرف نفع هذه
الأشياء لكنى قدرت ان ابن عمى كان يعرف ما يفعل .. ثم
غادرت الدار بعد ما نام الجميع متجها إلى المقابر .. كنت
أعرف أن هناك مقبرة مفتوحة خالية فيها درجات تقود إلى
حوش تحت الأرض .. هذا هو الموضع الذى كان (صالح) يتكلم
عنه ..

لا صوت سوى نباح الكلاب من بعيد .. عواء تنب فى مكان
ما .. الظلام .. صراخير الحقل .. استكشفت موضع النزول ثم
لمست جسدى وانزلت إلى أسفل على ضوء الكشاف .. أخيراً
وجدت نفسى فى ذلك الحوش ..

كانت مقبرة حقيقية معدة للاستقبال لكنها كانت خالية ، وكان
على أن أزحف على قدمى ويدي كى أبحث فيها ..

شريف :

بينى وبينك .. أنا متوتر أكثر منك .. لابد أنها تجربة مرعبة ..

كامل :

نعم .. لو أتنى سمعت صوتاً أو رأيت شيئاً يتحرك لتوقف قلبى
ومت . على أتنى وجدت ممراً ضيقاً يقود إلى قاعة مجاورة ..
هكذا زحفت على يدي وركبتى إلى أن وصلت هناك واستكشفت
المكان بالكشاف . فتران كثيرة حمراء العيون كانت تحديق فى
غير وجلة . رحت أقذفها بما وجدت من حجارة وشققت طريقى
أكثر .. هنا رأيتهم !

رفعت :

ما الذى رأيت بالضبط ؟

كامل :

رأيتهم !.. كانوا أحياء !. كانوا يزحفون كالديدان .. كانوا يتسلقون الجدران الترابية . يلبسون مثل البشر .. فقط ثيابهم في حالة زرية .. أطفأت الكشاف بسرعة حتى لا يروا وجهه . لكنني أدركت أن هناك ضوءاً أحمر غامضاً يشبه الذي يحمض فيه المصورون الأفلام . نفس الجو تقريباً .. وعندما استدار أحدهم نحوي أدركت أنه لا وجه له !.. هناك فجوة كبيرة دامية تحتل موضع وجهه !

كنت قد اكتفيت من الرعب . عدت لأزحف خارجاً من هذه القاعة . وخرجت من المقبرة ، لكنني رأيتهم في الظلام يدورون حولها .. يبدو أنهم يخرجون من مخرج آخر . كانوا يمشون مترنحين كالسكارى وأيديهم مفرودة .. كانوا يقصدونني !.. لا شك في هذا .. لقد شعروا بي ..

رفعت :

رحبت تركض كالمجانين في الظلام وسط الكلاب المسعورة ..

كامل :

الكلاب المسعورة تبدو شيئاً محبباً في ظروف كهذه .. هذه أشياء تعرفها وتعرف قواعد لعبها . أشياء قبيحة تنتمي لعالمك وليست أشياء لا تفسر لها ..

لقد كان (صالح) على حق ، واعتقد أنه لم يرزق حظي الحسن ..

ركبت جراراً إلى المركز حيث جهاز الهاتف .. هناك في قريتنا هاتف واحد موجود لدى العمدة ، وهو معطل منذ فترة .. لا توجد طريقة للذهاب إلى المركز سوى على ظهر جرار .. ربما كنت أتخيل لكنني بالفعل شعرت كأنهم تبعوني إلى هناك ..

لا أعرف من أكلّم ولا من أسأل .. فقط تذكرت شيئاً عن برنامجك .. لقد كان صالح يحبه وقد أعطاني رقم الهاتف لأطلبك لو حدث شيء .. هكذا جئت إلى السنترال الوحيد بالمركز .. إن العامل نائم لم أستطع إيقاظه .. هكذا طلبتك بنفسى ..

أنا الآن أطلبك سائلاً النصيح . ماذا أفعل ؟

رفعت :

لماذا لا تعود للقريّة و(الصباح رباح) ؟

كامل :

من رابع المستحيلات أن أعود للقريّة في الظلام على ظهر جرار . وأن أمشي وحدي وسط أزقة القريّة المظلمة حتى أصل لداري . يا أخي لم تعد أعصابي تسمح بذلك .. سأبيت في المركز .. ربما أبيت على الدكة الخشبية في هذا السنترال حتى الصباح .. السؤال هو : وماذا بعد ذلك ؟

رفعت :

أعتقد أن عليك أن تكلم كبار القرية .. لابد أنهم سمعوا شيئاً
عن الموضوع ..

كامل :

سوف يتهموننى بالجنون ..

رفعت :

ستجن فعلاً لو قضيت حياتك تدارى هذا المر ..

كامل :

لحظة .. هناك من يتحرك فى السنترال .. هو ليس العامل ..
لكن .. لقد أزاح العامل بيده فسقط على الأرض بلا حراك ..
العامل لم يكن نائماً إذن .. إنه ميت !.. ميت منذ دخلت إلى
السنترال .. وهذا القادم .. إنه ..

(يصرخ)

إنه من دون وجه !!.. (رفعت) .. إنه منهم !.. لقد وجدونى !..
لابد أن (صالح) فعل نفس الشيء عندما لم يستطع أن يبقى فى
القرية لحظة أخرى .. حاول الاتصال بشخص يعرفه من نفس
السنترال لكنهم قابلوه فى الخارج .. لابد أنهم توقعوا ما سأفعله
هذه المرة ، وربما كان أحدهم يتعلق بالجرار الذى جنت به !..

(صرخة طويلة أليمة .. صوت حشرة .. الخط ينقطع) :

شريف :

كامل لو ناجح .. ماذا حدث ؟

رفعت :

ناجح .. !

(سمع طويل) :

شريف :

ما رأيك ؟

رفعت :

إما أننا عشنا هواجس حالة بارانويا متقدمة ، وإما أننا عشنا
أحداث قصة من أقطع ما مررت به .. هؤلاء الذين يعيشون
(تحت) قادرون على الحركة وعلى السفر إلى المركز .. قادرون
على أن يحتفظوا بسرهم ويقتلوا من يعرفه ..

شريف :

وبلى أى الرأيين تميل ؟

رفعت :

لا أدري .. لكنى لم أر مريض بلونويا متمسك بالمنطق إلى هذا الحد .. أعتقد أنه يمكن تضيق البحث نوعاً .. هناك قرية اختفى فيها طفل يدعى (عبد الستار) - لو كان الاسم صحيحاً - ثم شاب ثم ابن عمه طالب الآداب واسمه بالتأكيد (ناجح) .. لو أمكن تحديد القرية لاستطعنا أن نفتش المقابر بحثاً عن شيء ما (تحت) ..

شريف :

هذا يعنى أنك تنهيت للرأى كنتفى : هذا الذى سمعناه حقيقى .

رفعت :

ربما نعم .. ربما لا .. فقط أعرف شيئاً واحداً : إنها لقصة مخيفة جديرة بأن تذاق فى هذا البرنامج .

الحلقة الثالثة

مصر يب فاضل

يحكيها (مرب فاضل)

لا أعتقد أننا فى سبيريا ، لكن النوة كانت عنيفة جداً وقد راحت البناية كلها تهتز من الرعد والرياح . هكذا جلست فى فراشى ورحت أشرب الحلبة الساخنة .. هنا لاحظت أن ضوءاً غريباً يدخل من أسفل الباب .. أنا أغلقت كل الأنوار .. من أين جاء هذا الضوء ؟

شريف :

كما اعتدنا يمكننا أن نناقش الحلقة المسابقة إلى أن تأتينا
المكالمة الأولى .. ما رأيك في قصة الأسبوع الماضي
ياد. (رفعت) ؟

رفعت :

تلك الفتاة التي تعيش مع أخيها الصغير ، وتزعم أنها عرفت
أنه مات في حادث أليم منذ ثلاثة أعوام ؟ .. تقول إن أحدا لم
يعرف بالحادث سوى سجلات الشرطة ، وأنها لم تعرف بحدوثه
إلا بالصدفة .. هذا النوع من القصص صار مملاً ، ولو عدت
لك المرات التي قابلت فيها فتاة تكتشف أن أخاها ميت لاحتجت
إلى الليل كله ..

شريف :

وماذا يحدث في كل مرة ؟

رفعت :

هذه من القصص التي تنتهي نهاية ضبابية . لا تعرف أبداً
ما حدث بعدها .. لا تجد دليلاً ملموساً يريحك ..

(*) ملأ ألبنسى القلري أننا لا نراعى الدقة في ترتيب الحلقات

شريف (في غيظ) :

كنت أحسب أن عندك إجابات قاطعة ..
رفعت :

هذا عالم ما وراء الطبيعة يا صاحبي وليس فاتورة البقال ..
سوف نموت دون أن نعرف .. سنموت ورأسنا يوشك على
الانفجار من فرط علامات الاستفهام . وعندما نعرف الحقيقة
سيكون من المستحيل أن ننتفع بما عرفناه .. لقد رحل القطار
وهأنذا نقف على المحطة وحدك .. نتمنى اللحاق بمن عليه كي
نخبرهم بما وجدت . طبعاً هذا مستحيل . حتى نفسك الأصلية
تشعر بأنها على متن القطار .. لا يمكن أن تخبرها بما عرفت ..

شريف :

هذا يثير الغيظ . نحن بحاجة إلى من يعرف فعلاً ..

رفعت :

وهذا لا وجود له وعليك أن تقبل . هناك بعث وحساب ويوم
قيامة . هذا ما نعرفه يقيناً لكن هل هناك أشباح مثلاً ؟ .. هل
هناك تجسّدات ؟ .. أحياناً تكون الإجابة في رأيي يقيناً (نعم)
وأحياناً تكون (لا) والأغلب أن تكون (لا أدري) ..

(جرس الهاتف) ..

شريف :

آلو ..

صوت رجل وقور :

برنامج بعد منتصف الليل ؟

رفعت :

تفضل .

الرجل :

هل لابد من أنكر اسمي ؟

شريف :

اسمك أو اسم مستعار .. المهم أن نجد من نكلمه ..

الرجل :

ليكن .. أنا مرب فاضل ا

رفعت :

هذا غريب .. لا أحد يطلق على نفسه لقب مرب فاضل ما لم يطلق واحد على نفسه اسم (رجل شفاف نقى النفس) .. لكن تفضل أيها العربي الفاضل .. أعترف أننا عرفنا مهنتك على كل حال .. لا يمكن أن تكون مهندساً مثلاً ..

الرجل :

أنا لست مهندساً .. أنا مرب فاضل ..

رفعت :

نعم .. نعم .. ولا يجيد المزاح كذلك .. تفضل ..

الرجل :

أنا مرب فاضل كما قلت لك ، وقد أمضيت حياتي كلها في تربية النشء .. أنا في الخامسة والخمسين من عمري .. لم أتزوج .. فقط قضيت حياتي معلماً للجغرافيا ثم موجهاً للجغرافيا .. بعد هذا أنشأت مدرستي الخاصة ..

شريف :

هل هي في القاهرة ؟

الرجل :

لا .. لقد ابتعت قطعة أرض عند أطراف مدينتي ، وقد أنشأت فوقها مدرسة جميلة لا بأس بها أبداً .. إنني أقبل الصف الابتدائي والإعدادي .. نتائج مبهرة جداً ..

شريف :

لا تذكر اسم المدرسة من فضلك وإلا خربت الإدارة المالية بيتنا وطالبنا بثمن هذا الإعلان غير المدفوع ..

الرجل :

لن أذكره ولكن لأسباب تختلف نوعاً . على فكرة بما أنتى غير متزوج فأنا أقيم بالمدرسة ، والناس فى هذه المنطقة السكنية يعرفون معنى النور فى الطابق الثانى حيث يوجد مكتبى الذى أكنمك منه الآن .. عندى هنا فراش وثلاجة .. لا تليفزيون لأننى أمقت تلك البرامج الرقيقة وعمه (راقية إبراهيم) .. و ...

رفعت :

لحظة من فضلك .. لا أفهم من هى عمه (راقية إبراهيم) وما دورها فى الموضوع ؟ .. لا أذكر أى فيلم كانت فيه عمه لـ (راقية إبراهيم) ..

الرجل :

أؤكد لك .. هناك أفلام مليئة بعصك (راقية إبراهيم) .. لم أعد أرى هذا الهراء على كل حال .. عندى كل ما يلزم للإقامة .. أعيش على الطعام الجاهز الذى يأتى به الخفير (بركات) لو هو الطعام تطهوه لى امرأة من عاملات المدرسة فى بيتها وتجليه معها .. إن طهيها ليس سيئاً لو تغاضينا عن هوية ملء الطعم بشعر رأسها كأنها فهمت معنى (الشعرية) بشكل حرفى خاطئ ..

رفعت :

نحن الآن فى الصيف .. لم لا تبحث عن إجازة فى مكان ما ؟

الرجل :

ليس هناك مكان ما . العالم ضيق جداً كسم الخياط فى رأبى .. أنا أعيش هنا وغالباً ساموت هنا .. أعرف كل جدار وكل طبقة طلاء ، وكل جزء رطب نبت عليه الطحلب ، وأعرف أسرار كل وصلة كهرباء متوارية ..

رفعت :

ومتى بدأت المشكلة ؟

الرجل :

من قال إن هناك مشكلة ؟

رفعت :

لا أعتقد أنك تتصل لتحكى تاريخك التربوى ..

الرجل :

بالطبع لا .. كنت أقيم فى المدرسة كل ليلة مع الخفير (بركات) . كان يفرش بطانية أمام باب المدرسة فى هذا الحر ، ويدخن الشيشة

ويشرب الشاي .. طبعاً لا اختلط به لكن مودة عميقة صارت
تجمعنا بعد كل هذه الأعوام .. اعتبرته أخى بشكل ما وإن كنت
لا أصارحه بهذا . وقد قمت بالحج معه للعام الماضي على حسابي !

رفعت :

تؤثر في فعلاً علاقات صديقي عمر من طبقتين مختلفتين ..
هذه أسور تثير شهية أى مؤلف درامى له ذكاء صرصور ..
الأكثر إيلاماً هو عندما يموت الأكثر ثراء منهما !

الرجل :

يا أخى (الملاحظ سعد) ! .. على كل حال لنا لمضى ليل في مكتبي ،
وأحياناً كان يصعد لى هناك ومعه كوب شاي أسود .. ثم يعود
للسهر عند الباب .. أعتقد أنه يدخن أشياء أخرى غير الجوزة
لكنى أتساهل على كل حال .. وهو كذلك يجمع سبع صنائع فهو
يعرف بعض الشيء عن السباكة والكهرباء وتثبيت البلاط ..

بدأت القصة في شهر مارس الماضي .. كان هناك خلاف بين
صبيين في المدرسة . غالباً هو خلاف على فتاة .. لماذا يختلف
الفتية إن لم يكن على فتاة ؟

(أمجد) و (هاني) في الصف الثالث الإعدادي ..

رفعت :

ألا تجد نضجا هرمونيا مبكراً في أطفال مدرستك هؤلاء ؟

الرجل :

لا أفهم ما ترمى إليه لكنى أعرف شيئاً واحداً .. الفتية أوغداً .. قد
تختلف معنى في هذه النقطة لكن جميع الفتية أوغداً .. أؤكد لك هذا ..

رفعت :

نعم . نعم . وأنت مرب فاضل تمقت عمه (راقية إبراهيم)
عندما تظهر في أفلام ..

الرجل :

نعم . نعم .. أعتقد أن الخلاف بين الصبيين كان عميقاً بحق ،
لم أتبين حجمه ولا أبعاده إلا عندما وقع (أمجد) من الطابق
الثالث في بئر السلم .. صرخة مدوية طويلة ذات صدى ،
فهرعت خارج مكتبي لأجد الكثير من الصراخ والهستيريا ..
ووجدت جثة (أمجد) وسط بركة صغيرة من الدماء .. وكان
الطلبة في حالة جنون وذعر .. لقد سقط بينما هم يتدافعون في
الطابق الثالث .. ليس الترابزين منخفضاً ولا هشاً لكنه ..

مال فهو الجزء الأثقل من جسده لأسفل ..

نظرت لأعلى لأرى وجوه الطلبة تطل على من فوق .. الصف الثالث كان خارجاً للفسحة ويبدو أن عادة تدافع الأغنام لعبت دوراً ، لكنى رأيت وجه (هاتى) من أسفل . على وجهه ابتسامة شيطانية مروعة . أنا متأكد من ذلك . كان يضحك فى تشفٍ وارتياح ..

رفعت ا

ليس كل الناس ملائكة . هناك أشرار يتشفون فى الآخرين لكن هذا لا يعنى أنهم قتلة ..

الرجل ا

ربما . على كل حال قد اعتقدت ما اعتقدته أنت ، وقضيت أيامنا سوداً فى الإدارة أبرهن على أن المدرسة مأمونة ، وأن الفتى لم يمت نتيجة إهمال .. الآباء لا يبعثون أبناءهم للموت فى المدارس .. على كل حال أجريت تحقيقاتى الخاصة وتأكدت من أن (هاتى) لم يدفع صديقه .. هذا ما قاله زملاء ..

رفعت ا

ولم تصدق حرفاً ..

الرجل ا

إلى حد ما . نعم .. وظللت أشك فى الأمر إلى أن جاءت ليلة مظلمة عاصفة من شهر أبريل .. لاحظت الخفير أن أضواء المختبر مضاءة .. هكذا صعد ليفلقها .. فعل ذلك وعاد ليستقر فى غرفته منشراً بالبطاطين .. لا اعتقد أننا فى سيبريا ، لكن النوة كانت عنيفة جداً وقد راحت البناية كلها تهتز من الرعد والريح . هكذا جلست فى فراشى ورحت أشرب الحاية الساخنة .. هنا لاحظت أن صوفاً غريباً يدخل من أسفل الباب .. أنا أغلقت كل الأبواب .. من أين جاء هذا الضوء ؟

فتحت الباب فوجدت أن الردهة كلها مضاءة .. لابد أن الخفير هو من فعل هذا .. فى اللحظة التالية دوت صرخة مريضة ولمحت جسداً يهوى من حالى فى بئر السلم .. يمر بى ثم يهوى .. لكن فترة عشر الثانية كانت كافية كى أعرف أنه هاتى ..

هرعت للطابق السفلى وناديت الخفير .. كان الفتى فى ذات موضع هلاك صاحبه ، وفى ذات الوضع .. فقط كان شعره معجوناً بالدم والماء وثيابه كلها مبللة ..

من أتى به هنا ؟ لماذا جاء ليلاً ؟ كيف سقط ؟

أهل الفتى قالوا إنه خرج من البيت ركضاً تحت العاصفة ولا أحد يعرف لماذا فعل ذلك .. رجال الشرطة رأوا أن ضميره عذبه

فقرر أن ينهي حياته بنفس طريقة وفاة صاحبه .. هذا الانتحار اعتراف كامل إذن .. طلبة المدرسة كلهم آمنوا أن أمجد عاد لينتقم وهو قد استدرج صاحبه إلى ذات المكان ليلا ..

رفعت :

أعتقد أن النظريتين مغريتان .

الرجل :

على كل حال أذاني هذا بشدة . ولا شك أن معدلات الالتحاق بالمدرسة في العام القادم سوف تتأثر كثيرا .

رفعت :

أعتقد أن المشكلة انتهت عند هذا الحد .

الرجل :

لا . لقد بدأت إجازة الصيف وبدأت أعيش وحدي . تكررت ظاهرة الأضواء التي تشعل نفسها مرارا .. ثم جاء اليوم الذي حدث هذا منذ ثلاثة أيام ..

رفعت :

ماذا ؟ .. هل مات الخفير ؟

الرجل :

نعم . (بركت) قد مات .. كان قد قضى النهار يعمل في الطابق السفلي . فلما بلصق بعض البلاط المهشم من أثر سقطة التولدين .. انه يقوم بهذه الاعمال من حين لآخر مقبل مال ، ثم ترك حاجيات العمل من (غلق) وبقيت أسمنت وبلاط متبق .. عندما سمعت تصرخة رأيت أن جسده قد هوى في ذات الموضع ومن على نفس الارتفاع .. سقط وسط الأسمنت والبلاط المهشم .. هل عندك سبب لانتحار خفير مسن رب أسرة وقد قام بالحج منذ عام ؟

رفعت :

لا .. حادث أو قتل .. لا يوجد تفسير آخر ..

الرجل :

اعترف أنني تشاجرت معه . أثرت غضبه بحق ، وهددته بالنظر .. هذه أشياء لا تقال ، لكنها حدثت .. لا أعتقد أنه يمكن أن يتحرر لهذا . لطالما تكرر هذا الموقف .

رفعت :

بيبي وبيتك أنا الآن أعتقد أنه لا توجد أشباح . هناك طاقة نفسية شريرة كاسحة في المدرسة ذاتها .. لو فسرت الأشباح موت الصبيين فلا يمكن أن تفسر موت الرجل .. هذا يدل على أن شبح أمجد يرى !

الرجل :

طاقة نفسية ؟ .. وما مصدرها ؟

رفعت :

في العادة تكتشف أن هذه المدرسة أقيمت على بقايا مقبرة .. ربما كانت أرضك هذه مقبرة منذ مائتي عام .. اللغات من هذا الطراز تُبعث عندما ترتوى أرض المقبرة بالدم .. لقد نزل (أمجد) هناك أول مرة ، وهكذا بدأ كل شيء ..

الرجل (في قلق) :

إحم .. ولماذا هاتى ؟ .. ولماذا الخفير ؟

رفعت :

أعتقد أن (هاتى) كان يعانى عقدة نيب هاتنة .. لا أعرف إن كان تعدد الحادث أم لا ، لكنه كان يتعذب .. وقد شعر الشيء الذى يخيم على المدرسة بهذا . شعر بهشاشته النفسية وقرر أن يستدرجه فى الليل أثناء العاصفة . أما الخفير فأمره سهل ..

الرجل :

ماذا تعنى ؟

رفعت :

لقد كن يقوم بترميم البلاط .. (أمجد) سقط فى ذات الموضع وتسرب دمه عبر الشقوق .. معنى هذا أن البلاط غير محكم .. الأرضية تقود لشيء ما ، والكيان الذى يسيطر على المدرسة أو المدرسة نفسها لا يريدان اكتشاف هذا الشيء . يمكن تخيل أن الحفير كان منهمكاً فى العمل .. فجأة فقد صوابه .. ترك ما يقوم به وركض إلى الطابق الثالث ووثب ..

الرجل :

هذا مقلق .. وماذا تعتقد أنه موجود تحت الأرض فى البهو ؟

رفعت :

لو أعرف لقلت لك .. أعتقد أن عليك أن تقوم بالاستكشاف صباحاً مع بعض العمال ..

الرجل :

هل تريد رأى ؟ ..

رفعت :

لا .. لا أريد رأيك ..

الرجل :

أنا مرب فاضل . لن أجبن أمام خرافات العجائز هذه ، وسأقدم
القنوة للأجيال القادمة .. سوف أنزل وأرى ما هناك بنفسى .
لقد أزال (بركات) - برحمه الله - الكثير من السلاط فعلاً . فنن
أحتاج إلا إلى بعض ضربات بالعتلة ..

رفعت :

سيدى .. هذه بطولة لا داعى لها . فكر فى سنك ومركزك .
يستطيع رجلان ان يتما هذه المهمة فى دقائق صباح الغد .

الرجل :

لا .. هذه مدرستى . هذا بيتى . سوف أنزل الان ومعنى
الكشاف وأعرف سر هذه النعنة ، وأقول لك إننى لن أجد شيئاً

شريف :

فعلاً يا سيدى هذا حماس لا داعى له .. دعك من أن الظلام
دامس .. لو هويت وحطمت رقبتك فلن نعرف إن كان هذا بسبب
المدرسة أم بسبب ..

الرجل :

سوف أفعل . وبعدها سوف أتصل بكما سلام

(يضع السماعة)

رفعت :

هذا رجل شجاع آخر .. أعرف هذا النمط متصلب الشرايين
الذى يؤمن أن الفتية أوغاد وأن الأفلام تعج بعمات (راقية
إبراهيم) إنه لا يغير رأيه أبداً . لكننا لن نعرف ما حدث له
لأن وقت البرنامج انتهى ..

شريف :

ربما يتصل الأسبوع القادم ..

رفعت :

لا أظن .. كل هذا التوتر والذعر والأدريين .. لو أن فاراً
وثب على قدمه لمات .. أعتقد أن أسباب وفاته أكثر من أسباب
نجاته .. ولو مات فلن نعرف لأن احتمال النوبة القلبية وارد ..
رجل مسن وحيد فى مدرسة مظلمة واسعة مات فيها ثلاثة ..
ليست هذه هى الطريقة المثلى لقضاء أسية صيفية .

شريف :

وكيف نعرف ما وجدته ؟

رفعت :

على الأرجح لن نعرف إلا لو اتصل بنا مرة أخرى .. قلت لك
إنه لا إجابات .. هناك الكثير من الرعب والتوجس والحيرة ..
لا تتكر هذا .. ماذا سيحدث في الحفرة ؟ .. هذا سؤال يتسع لكل
شيء .. كل شيء !

الحلقة الرابعة

نوبتجية

يحكيها د (مراد)

لا تقل لي إنك مذعور .. لا تكن كالذي يرسم الوحش ثم
يموت خوفاً من الصورة .. أو الذي يلبس قناعاً مرعباً ثم
يملاً الدنيا صراخاً عندما يرى وجهه في المرآة ..

شريف :

ها نحن أولاء مع حلقة جديدة من (بعد منتصف الليل) .. فى الأسبوع الماضى استمعنا إلى السيدة التى وجدت رقعة فراء غريبة على ساقها .. الأشخاص للعديد سوف ينصحونها برؤية طبيب تجميل .. د (رفعت إسماعيل) رأى أن هذه علامات لتحويل إلى الجانجريل Gangrel .. وهو موبيل من موبيلات مصاصى الدماء .. هذه أمور مسلمية كما تلاحظون .. على كل حال نحن بانتظار حكاياتكم التى هى الوقود لآلة الرعب فلا تتوقف أبداً ..

رفعت :

تصور أنك أوصلتنى بتكرار هذه العبارة إلى حالة من الاستسلام المطلق فالاستماع .. ثمة قصة يحكيها (مارك توين) عندما حكى للمجتمعين فى قاعة من قاعات مدينته قصة سخيفة مملة .. عندما لم يضحك أحد حكى القصة ثانية والعرق يتفصد منه . بدأت الضحكات ترتفع .. حكاها مرة ثالثة فاتفجر الجميع يضحكون ... الإصرار على الملل يصير جذاباً مع الوقت ..

شريف :

لا أعتقد أننى مصرٌ على الملل ، فقط هى ديباجة احترافية لا بد أن يقال لأنها علامة على البرنامج . هذه هى خصائص العمل الإعلامى ..

رفعت :

وقا لا فهم الإعلام لذا لابد أن أصمت .. بينى وبينك صار موضوع التخصص يجعلنا عاجزين عن إبداء رأى فى أى شىء .. ترى لوحة فتشعر أن من رسمها فأر سقط فى دلو طلاء ، لكنك تفتح فمك فيقولون لك إن عليك أن تخرس لأنك غير دارس أكاديمياً .. نقرأ قصيدة تحكى عن الذبابة التى سقطت فى طبق عسل ، مما أدى إلى أن تصاب السلحفاة بسرطان المستقيم .. تو شك على أن تقول إن هذا كلام فارغ فيقولون لك إنك غير مؤهل لتحليل النص .. الآن أتهمك بالتكرار فنقول إننى لست إعلامياً ..

شريف (فى غيظ مكتوم) :

المستمعون قد اعتادوا .. رفعت على كل حال ، لهذا لن نعلق ..

رفعت :

على كل حال نحن بانتظار وقودك هذا ..

شريف :

نعم .. نعم ..

(رنين الهاتف)

ألو .. برنامج (بعد منتصف الليل) .. تفضل ..

صوت شاب :

مسء الخير .. أنا د. (مراد) .. هذا ليس اسمي الحقيقي
على فكرة .. هل د. رفعت هنا ؟

رفعت :

بالتأكيد .. أتمنى أن ألقى مكالمة واحدة من دون هذا السؤال ..
هل سبق أن اتصل بي أحد وكنت في الحمام ؟

مراد :

لا شيء .. هو مجرد تصرف تلقائي .. غريزي . أنا طبيب
مقيم في مستشفى (..) وأنا ساهر الآن في العيادة الخارجية
لأنني نوبتجي . لكن الجو هادي فقررت أن أتصل بك .

رفعت :

أرجو ألا تكون التسلية هي السبب الوحيد .

مراد :

لا . هناك قصة تحتاج إلى رأيك .. على كل حال الجو هادي تمامًا ..
للممرضات نائمات في مكان ما ، وهذا يعني أن على أن أعمل وحدي
لأن البحث عنهن يعني أن أدخل حجرة مظلمة ، فأكشف أنهن نائمات
فيها ويملأن الدنيا صراخًا . عندما تمام الممرضات فمن الأفضل
أن تعتبر نفسك وحيدًا وتتصرف على هذا الأساس ..

رفعت :

مفهوم .. مفهوم .. أنت الآن وحيد تمسك بالهاتف وتتسلى ..
هل يمكن أن تبدأ السرد ؟

مراد :

نحن هنا مجموعة من الأطباء المقيمين الشباب .. بيننا من
هو يقظ للضمير يعرف واجبه حقًا ..

رفعت (نافذ الصبر) :

مثلك طبعًا ..

مراد :

نعم .. وبيننا من هو مستهتر قاس .. د. (جودت) كان من
هذا الطراز .. إنه وسيم لكنها وسامة الشيطان .. ملامح قاسية
باردة تدل على أنه يستمتع بآلام الآخرين .. ثري جدًا ولا يحتاج
لهذه المهنة ، لذا هو يمقتها ويشمئز من المرضى المجانيين ..

رفعت :

أحيانًا يدفعك الثراء للعناية بالطب أكثر .. (هالستد Halsted)
الجراح العظيم كان ثريًا متأنقًا لدرجة أنه كان يكوي قمصاته في
الخارج ! .. وكان يؤمن أن الطبيب يجب أن يكون ثريًا من الأصل
حتى لا يشغل وقته في الجري وراء المال .

مراد :

الآراء تختلف . هناك من يرى أن الفقر يولد الرحمة في النفس . ما علينا .. لم يكن (جودت) شريراً لأنه ثرى .. كان شريراً لأنه شريد . وغد في كل شيء . مع الفتيات هو وغد يتسلى .. فكم من فتاة حطم قلبها مع المرضى هو وغد يستمتع بسماع أنينهم ودعواتهم عليه ..

لم يكن يتواجد في أية نوبتجية . الأطباء الذين يهربون من النوبتجيات عدداً يقطعون هذا بداعي الفقر . يحاولون جمع بعض المال في ذات الوقت . لكنه كان يفر من النوبتجية ليقابل فتاة ما يخدعها طبياً .. فإذا سألت عنه قالت الممرضات بارتباك إنه (في بنك الدم) . طيلة حياته في بنك الدم كأنه موظف هناك ، والغريب أن الأحقق غير مبتكر . حيلة بنك الدم هذه نسمعها منذ كنا في المهد وهو عاجز عن ابتكار عذر آخر ..

ثم جاءت القصة بإياها ..

شريف :

جميل ..

مراد :

لم أرها لكني سمعت القصة من المرضى والممرضات اللاتي شعرن بأن الصمت خطير هذه المرة .. هذه المرأة التتعة تدعى (نجاة أبو مندور) .. هذا هو الاسم الحقيقي الوحيد في هذه القصة . والسبب هو أنني أريد أن يبقى اسمها إداة دائمة للغيباء والاحتياط والظلم البشري . هي نموذج الفلاحة القادمة من أحرش الريف لتضيع في أحراش المدينة ، يبدو أنها من الطراز الذي جاء العالم كي يتعذب ويهمل ويموت .. لقد طلقها زوجها وتخلّى عنها أولادها وهي تعاني منذ عشر سنوات للحصول على معاش . ثم أصيبت بسرطان الدم وجاءت تطلب العلاج فأوقعها حظها الأسود في نوبتجية الدكتور (جودت) لتكتمل المأساة الإغريقية .. لم أر ما حدث لكني أتصوره .. لابد أنه كان يداعب شاربته الرفيع الأنقى . ربما كان ينقى بكلمات غزل على ممرضة ما .. لابد أنه لاحظ شحوب المرأة فطلب من الممرضة أن تنقل لها وحدة من الدم . ثم اتصرف ليلى أحد المواعيد الغامضة التي لا يعرف إلا الله كنهها والتي تتم دوماً في المقطم . إما أنه ذو اهتمامات شديدة بعلم الجيولوجيا وإما أنه .. ما علينا ..

لحظة يا حاجة أرجو أن تجلسي لي أن ألهي هذه المكالمة . معذرة ب دكتور رفعت لكن هناك مريضة دخلت الاستقبال عندي الآن .. بالطبع وحدها بلا ممرضة ولا مرافق ..

رفعت :

يمكنك أن تفحصها وتتصل بنا ثانية .. لا نريد أن نعطك عن مريض بينما أنت ما زلت تتكلم عن انعدام ضمير صاحبك ..

مراد :

لو قطعت المكالمة لعشلت في طلبكم ثانية .. على كل حال لا يبدو أنها في خطر داهم .. ثلاث دقائق فقط أحكى فيها قصتي ..

أين كنا ؟ .. آه ..

أعرف أن (نجاة) تمددت في الفراش لاهثة مستسلمة كأنما تعرف أنها تتلقى آخر شحنة طاقة في حياتها . لابد أن الممرضة قامت بتثبيت قناة وريدية غليظة في ذراع المريضة . ونجاة تتلقى الألم الحارق في ذراعها شاكرة .. فطلى الأقل لم يجلدوها بالسياط كما كانت تتوقع . وقد كانت هذه المرأة تعتبر أن المعاملة المعتدلة هي ألا تضرب بالأحذية أو تجلد بالسياط .. علمتها الحياة ذلك .. كيس الدم الأحمر علق هناك جوار الفراش وبدأ سائل الحياة يتسرب إلى عروقها .. أعرف أن الممرضة تصرفت لتناول العشاء ، وأن العنبر كان خالياً إلا من مريضة غيبوبة لا تفقه شيئاً .. لابد أن (نجاة) حركت ذراعها ففكت الخرطوم البلاستيكي . هكذا بدأ النزف من جهتين : الدم يسيل من الخرطوم المتدلى ، ويسيل من القناة الوريدية المثبتة في ذراع المريضة ..

لابد أن المأساة استغرقت نصف ساعة . لقد فرغت الممرضة من العشاء وعادت للعنبر لتجد بركة دم وقد فرغ الكيسان : الكيس البلاستيكي والكيس الحي .. وبقطع كانت (نجاة) قد أسلمت الروح فقهر معها لم يكن ليتحمل مزيداً من النزف .. كانت قد فهمت ما يحدث وتلوت كثيراً جداً وهي تحاول الهوض من الفراش .. تحاول النزاع للقناة الوريدية من ذراعها .. لابد أنها تلمت لأنهم قتلوا ابن علامات الرعب والذعر ارتفعت على وجهها ..

رفعت :

هذه كارثة .. تتكرر كثيراً لكن هناك من ينفذ الموقف دوماً ..

مراد :

لم يكن هذا (من) موجوداً هنا .. أعرف أن تحقيق جري ، وأن (جودت) خرج من الموضوع كالشعرة من العجين .. الوغد المحفوظ . في كل مرة يخرج كالشعرة من العجين برغم أنه الممنول الأول عما حدث .. أعرف أنه اتهم الممرضة بكل شيء وأن بيتها خرب على الأرجح .. أعرف أنه أحضر أوراقاً من كل جهة تثبت أنه كان في المستشفى وقت وفاتها .. أعرف أن خاله ذا النفوذ قابل مدير المستشفى وأمضيا ساعة معاً بعدها خرج المدير راضياً وهو يدس كارتاً في جيبه ، ويبدو أن (جودت) تلقى عقاباً من طراز (إخص عليك) أو العقاب الأشد صرامة

(أنا زعلان منك) .. أعرف أن الموضوع انتهى وأن دم المرأة راح هدرًا .. أضاعه زوجها وأضاعه أولادها وأضاعه طبييها ..

هكذا اجتمعت مع صديقي المخلص د. (فوزى) ورحنا نتسج الخطط معًا .. سوف تنتقم .. لن يكون انتقامًا مريعًا لكنه ممتع برغم هذا ..

اتفقا مع عدد من الأطباء والمرضات على هذه الدعاية .. بدأ كل شيء عندما استقبلت المرضات (جودت) قائلات إن واحدة من قريباته جاءت بعد منتصف الليل تسأل عنه وقالت إنها ستعود .. سألتهن حودت عن اسمها فقلن بصوت واحد : (نجاة أبو مندور) .. احتبس صوته في حلقه وسأل متحسرجًا كيف تبدو . فقلن إنها فى العقد الخامس شاحبة جدًا فقيرة جدًا

اعتبرها صدفة ، لكنه شعر بقلق لا شك فيه .. وفى اليوم التالى قابل دكتور فوزى فإذا به يسأله عما إذا كانت له غريبة تدعى (نجاة) ولم يذكر باقى الاسم لأنها ظلت تنتظره طويلاً ثم انصرفت عني وعده أن تعود ليلاً . قال له إنها غيباته جدًا وأنه أعطاها بعض المال ..

وعند العصر نزل من مسكن الأطباء فقابل زميلتنا (هند) التى أخبرته فى براءة أن من تدعى (نجاة أبو مندور) كانت تنتظره .. امرأة فقيرة جدًا شاحبة جدًا فى العقد الخامس من عمرها . ثم

سأته : مم شكوا هذه المرأة ؟ . فنقطع ذراعى إن لم تكن مصابة بسرطان دم لكن لا تقلق . سوف تعود هذا المساء لأنها تريدك فى أمر مهم !..

وهكذا أمضى ليلته خارج المستشفى ، وحين عاد فى الصباح كان منتفخ العينين أحمرهما منكوش الشعر يشبه العاشق الفاشل فى الأفلام المصرية . فقط لتقول له مرضات الصباح وهن مهمكات فى العمل إن امرأة تدعى (نجاة) ظلت تنتظره طيلة الليل على هذا المقعد ، وفى الصباح انصرفت وقالت إنها ستعود حتماً .

رفعت (ضاحكًا)

يا له من مقلب ! برغم قسوته هو رابع .. ثمة الكثير من العدالة الشعرية هنا ..

مراد

بعد أسبوع من هذه المواعيد الغامضة ، دخل (جودت) فى نوع من الالتهيار العصبي .. صار متوترًا قلقًا يكفى أن تضع يدك على كتفه ليثب فى الهواء مترًا ثم طنب إجازة من المدير لأن أعصابه لم تعد تتحمل العمل ..

رفعت :

إنن هو فى إجائة الآن ..

مراد :

نعم .. لكن .. ما زالت تلك المريضة تنفى !.. صدق أو لا تصدق
ما زالت بعض الممرضات ممن لا يعرفن القصة يقلن لى فى الصباح
مثلاً أنها جاءت وسألت عن د. (جودت) !

رفعت :

لا شيء فى هذا .. إنها الدعاية حين تتراكم على دعابة ..
اللاتى يعرفن السر قررن أن يشركن فيه من لا يعرفن .. من
الصعب أن تقابل الشخص الكتوم فى الشعب المصرى ..

مراد :

هناك أسباب لتوترى .. لحظة .. لا تنقلى يا حاجة .. سوف
أنهى المكالمة حالا .. هل أعطوك تذكرة ؟ .. جميل .. أرجو أن
تنتظرى قليلاً ..

أنا قلق لسبب مهم يا د. رفعت .. هذه النوبتجية التى ماتت
فيها المرأة هى نوبتجيتى أصلاً .. كانت هناك ظروف قهرية
جعلتنى أستبدل العمل مع (جودت) كل شيء رسمى ومدون
على الأوراق .. تقول إن هذه جريمة ؟ .. ربما هى كذلك من

الناحية الأدبية لكنها ليست كذلك رسمياً .. أعرف أنه من أكثر
الأقفل حمقاً أن تترك النوبتجية لمستهنر مثل (جودت) .. ربما كان
من الأفضل أن تتركها بلا بدل على الإطلاق ولعل نتيج ذلك تكون
أفضل !.. لكن من الناحية الإدارية لا مسئولية على الإطلاق ..

فقط أخبرك بهذا لتفهم أن (جودت) لم يكن المخطئ الوحيد
ها .. هل فهمت ما أريد قوله ؟ .. أنا أيضاً لست نقي الضمير
إلى هذا الحد ..

رفعت :

لكن لا تقل لى إنك مذعور .. لا تكن كالذى يرسم الوحش ثم
يموت خوفاً من الصورة .. أو الذى يلبس قناعاً مرعباً ثم يملأ
الدنيا صراخاً عندما يرى وجهه فى المرآة ..

مراد :

نعم .. نعم .. أفهم كلامك لكنى قلق .. أشعر بأننى سأدفع الثمن
بدورى .. كلامك يريحنى من نون شك .. وعلى كل حال أنا مضطر
لأن أتركك لأن هذه المريضة نافذة الصبر .. معذرة يا حاجة ..
أعرف أننى تركتك وقتاً طويلاً لكن الموضوع مهم كما سمعت ..
قلت لى ما اسمك يا حاجة ؟ .. لا أسمع ؟ .. (نجاة) ؟ .. (نجاة أبو
منصور) ؟ .. لا أعرف لماذا أشعر فنى سمعت هذا الاسم من قبل ..
سلام يا نكتور رفعت .. شكراً لوقتكم ..

(يضع السماعة)

شريف :

مكالمة غريبة .. لا توجد مشكلة ما ورائية من أى نوع ..
كله فقط كان يريد (الفضفضة) ..

رفعت :

نعم . نعم .. (فى شرود) .. هل سمعت اسم المريضة ؟

شريف :

أية مريضة ؟

رفعت :

تلك التى قطع مكالمته من أجلها .. يبدو اسما مألوفا
مشكلتى هى سرعة نسيان الأسماء ..

شريف :

بصراحة لم أركز جيدا . لا عليك . لقد انتهت هذه الحلقة
وإننا لنعتذر للمستمعين على خلوها من أية قصة ما ورائية

رفعت :

لا يمكن أن تتوقع قصة مخيفة فى كل حلقة على كل حال ..
ربما يكون حظ الحلقة القادمة أوفر ..

الحلقة الخامسة

على الإيقاع

تفكيها (فىمى الشورغى)

بدأت أسمع هذه الأغنية مرارا ، ثم صار الأمر يذبنى
أصحو من النوم لأراه راقدا على ظهره فى ضوء الغرفة
للخافت القلم أكثره من النافذة .. عيناه لا تتغلغان جيدا أثناء
النوم لذا تبدوان مفتوحتين لونهما أبيض مخيف .. أبيض شبه
مضىء بسبب انعكاس النور .. ثم يصر على أسنانه كعادة
العصبين أثناء نومهم . الصرير يحدث إيقاعا يقول :
(الموت . الموت) . هكذا . كيف تتوقع منى أن أنام ؟ ..

شريف :

هذه حلقة جديدة من برنامج (بعد منتصف الليل) .. مضيفكم هو (شريف السعدنى) ومعه ضيف البرنامج الدائم د. (رفعت إسماعيل) .. نحن ينتظر مكالماتكم التى ستكون وقود آلة الرعب .. هذا البرنامج ليس الغرض منه إيجاد الحلول ، قدر ما هو أن نجد الخيال ..

د. (رفعت) : هناك عدد كبير من الشكاوى التى وصلت إلى الإذاعة تقول إن الأطفال يخافون كثيراً لدى سماع البرنامج . هناك من يرفضون النوم ومن يصابون بحالات تبول لا إرادى .. ما رأيك ؟

رفعت :

أعترف أن هناك حلقات مفزعة مثل حلقة الرجل الذى تدب الحية فى فراشه ليلاً . لكن من قال إن هذه الحلقات للأطفال ؟ .. لماذا قررنا أن نجعلها فى الواحدة بعد منتصف الليل ؟ . كنا نأمل أن يكون الآباء ما زالوا يملكون بعض السيطرة على أطفالهم ويمكنهم إرغامهم على النوم فى التاسعة .. لكن الحقيقة هى أن الأطفال صاروا كائنات مرعبة تتحدى الآباء وكل شىء .. هل يمكن أن تخيف الغول ؟ .. مستحيل .. إذن لا نقل لى إن أطفالك خافوا من هذه الحكايات .. بهذا المنطق يمكن للآباء أن يحتجوا على وجود مقابر لأن أطفالهم يحبون دخولها ليلاً ويصابون بالذعر ..

شريف :

لا يبدو أنك تحمل مودة كبيرة للأطفال ..

رفعت :

هذه هى المزية الوحيدة لعدم الزواج .. أنا أحب الأطفال فى بداية العمر وهم أقرب لكائنات هشة ندية لعوب .. قطط صغيرة .. فإذا تحولوا إلى تلك الكائنات المرعبة ذات الأسنان الأمامية الناقصة والميكروكروم على الركب ، فإبنى أكرههم كالطاعون .. إنهم يمزقون كتبك ويحرقون أوراقك ويكسرون أطباقك ويخدشون سيارتك ويقذفون الطوب على رأسك ، فإذا حاولت الانتقام قال المجتمع : « إياك أن تلمس هؤلاء الملائكة الصغار أيها الساذى المنحرف ! » .. إنهم يكذبون كالأبالسة ، شرهون كالجراد ، ويتمتعون بسادية غير مصبوقة .. راقب ما يفعله أحدهم مع قط صغير ضعيف .. راقب ما يفعله إذا رأى حشرة غير مؤذية .. إنه يسحقها على سبيل الملل ولمجرد أن هذا بوسعه .. نعم .. لولا مركزى الاجتماعى لقت بخنق أى طفل أراه ..

شريف :

من حسن الحظ أنتى لست طفلاً . على كل حال سوف نستمع إلى أغنية للمطربة (فتكات حمدي) بانتظار المكالمات الأولى ..

(رنين الجرس) :

شريف :

يبدو أنه لا حظ لنا مع (فتكات حمدي) الليلة ..

رفعت :

للأسف .. إنها مرعبة بما يكفي ..

صوت امرأة :

مساء الخير ..

رفعت :

صباح النور يا سيدتي . إنه لخطأ حرافى شائع على كل حال

المرأة :

أنا (فيفي الشوربجي) . اسمي (فيفي) فعلاً وليس اسماً مستعاراً أو تدليلاً .. زوجة وست بيت .. لا أعمل .. إن زوجي مهندس بترول ويسافر كثيراً جداً ، ونحن لم نتجب بعد .. لقد تأخرنا كثيراً لكن الأطباء يقولون إن السبب هو أننا لم نتواجد معاً فترة كافية .. أنا في الثلاثين عنى فكرة .. وقد تخرجت في معهد الموسيقى العربية لكنى لم أفعل شيئاً بما تعلمته هناك ..

شريف :

مفهوم .. مفهوم .. المشكلة لو سمحت ..

فيفي :

منذ طفولتى أسمع الإيقاعات خلف أى صوت متكرر واجد أتنى أربط بينها وأغنية ما .. مثلاً لا أركب سيارة إلا وأسمع المحرك يذندن لحن الفيشار الغربى الشهير الذى استعملناه فى الأغنية العربية (طير وفرقع يا بو الشعر .. مثل حبة الفيشار) ..

الحفلات تجعلنى أسمع الإيقاع شبه الأسبائى لأغنية (جلنہ علم الغزل) . صوت أجهزة التكيف يجعلنى أستعيد مقدمة أغنية (سكن الليل) لفيروز .. ارتطام عربات القطار هو إيقاع أغنية (الملاحه) لمفتيق جلال التى تحكى قصة (ربا وسكينة) .. خطواتى وأنا أصعد الدرج تذكرنى بإيقاعات (روك المسجن) أغنية إلفيس بريسلى الشهيرة ..

تدريجياً أجد أنى أفتن هذا اللحن تلقائياً مع صوت الإيقاع .

رفعت :

هذا نوع من الوسواس القهرى السمعى .. أعتقد أنه يدل على حساسة موسيقية لا بأس بها . كل من يعرفون للموسيقار (عبد الوهاب) قلّوا إنه لا يكف عن الدندنه فى سره ، ويقر كالقطة طيلة الوقت ..

(*) فكرة وسوس الإيقاعات مستوحاة من إحدى قصص محنرات هشوك ، لكن لا علاقة بتقارب أحداث هذه القصة والقصة الأصلية ..

فيفى :

لا أحسب عندى الموهبة على الإطلاق .. الأمر كما وصفته
أنت : وسواس سمعى قهرى ..

شريف :

هل هناك مشكلة أخرى ؟

فيفى :

لا اعتقد .. أظن أن د. رفعت قد أهدانى التفسير الصحيح لما
أعانيه .. شكراً ..

(تضع السماعة)

شريف :

كانت حلقة قصيرة جداً ..

رفعت :

والمشكلة سهلة إلى حد لا يصدق ..! أشعر بأننى عبقرى ..

شريف :

يبدو أن علينا أن ننتظر مكالمة أخرى ..

(رنين الجرس) :

صوت رجل :

مساء الخير .. برنامج (بعد منتصف الليل) ؟

رفعت :

نعم يا سيدى .. هل لنا أن نتعرف ؟

الرجل :

أنا مهندس (محمود الشوربجى) . زوج السيدة التى اتصلت
مند لحظات ..

رفعت :

آه .. إذن أنتم تستعملون الطريقة الغربية فى إطلاق اسم
أسرة الزوج على الزوجة . عندما كنت طفلاً كنت أعتبر أن
الغربيين يتزوجون أخواتهم !

الرجل :

لنا نكلم من السويس . لقد سمعت المحادثة على البرنامج وأردت
أن اتصل لأوضح الأمور .. زوجتى جنت أو كانت ، وهذا الداء الذى
أصابها جعلها تعتقد أن كل شىء فى العالم يقضى . نحن موشكان
على الطلاق لأنها لم تعد تفعل أى شىء سوى الإنصات لإيقاع

الأنبياء . كنت أنام فى الفراش وأصحو فجأة لاسمعها تدن
متابعة صوت شحيرى أو دقات الساعة .. هذه حياة لا تنطق
لو كن على امرئ ان يجد حلاً فهو أنا وليس هى .

دفعت :

ألم تفكر فى طلب رأى طبيب نفسى ؟

الرجل :

بالطبع نعم . لم أطلب الطبقة الوسطى تعتبر العلاج النفسى
اعترافاً بالجنون . هى تلبى ذك بقوة وعنف .. هى لم تترك لى
حلاً سوى الطلاق ..

دفعت :

هل للأمر علاقة بعدم الإنجاب ؟

الرجل :

ربما لكن العصوص الطبية تقول اننا مسلمين . على كل حال
لا توجد مشكلة فى زوجة تدين ليلاً .. تكن هناك مشكلة فى روجه
تحتفظ بخنجر تحت الوسادة أثناء النوم .. لقد صحبت مذعورة
ذات ليلة وألفت بالوسادة على الأرض فتوجنت بأن حجراً سقط

تسخرس فى الأرض لتسية .. خسر طويل له مقيض مزخرف ..
وهائتى حصنة أنسى قدم جوار زوجة مسلحة بحجر طيلة الليل ..
فى رأيت من الذى أعدت له الخنجر ؟ .. من الشخص الوحيد
الموجود معها ؟

دفعت :

العض تسيطر عنه فكرة تسئل لص للدار .. البعض يحتفظ
سلاح يرهب به الموت لو جاءه ليلاً .. هكذا كان يفعل لورد
بيرون اشاعر البريطانى غريب الاطوار .. كان يحتفظ تحت
الوسادة بمسدس محشو ليس يقتل النصوص طبعا !

الرجل :

أنت قنيتها . شاعر عربى لا طوار من يفعلون هذا مجاتين
وليس من السهل أن تلتصق لهم العذر ..

دفعت :

المهم ماذا قالت لك عندما اكتشفت هذا ؟

الرجل :

لم تقل أى شيء .. فضلت الصمت برغم صراخى فى وجهها
وبرغم أننى كنت أفكك بها فعلاً . إن عملى هنا فى السويس

رحمة .. يمنحني مزايا الطلاق بلا طلاق .. لقد قللت من إجازاتي
جداً على فكرة .. لم أعد أرى القاهرة إلا نعاماً ..

رافقت :

على كل حال نحن ما زلنا نتحرك في جمهورية لمرض النفسى ..
لم ندخل بعد إلى مملكة الميتافيزيقا .. إذن ليس هذا ضمن اختصاص
البرنامج ..

الرجل :

هى اتصلت بكم .. لذا اتصلت بكم .. هذا هو السبب .. على
كل حال سوف أعود إلى القاهرة وأطلقها .. لم يعد هناك حل
آخر .. لقد فضحتنى بالاسم على الهواء .. لا شك أن كل إنسان
يعرف مشكلتنا الآن .. سلام ..

(يضع السماعة)

رافقت :

لو سمحت لنفسى بأن أعلق ، نقلت به هو الذى قال كل شيء ..
هى لم تتكلم سوى عن سماع الإيقاعات بينما حكى هو كل دقائق
حياتهما ..

شريف :

مهما كان الأمر فمشكلتهما ليس مكاتها هنا .. لقد أخطأ
كلاهما طلب رقم برنامج (رسالة) ..

(جرس الهاتف) :

شريف :

آلو .. برنامج (بعد منتصف الليل) ..

فيضى :

أنا من اتصلت منذ دقائق .. (فيفى الشوربجي) التى تسمع
الإيقاعات ..

شريف :

آه !.. بآية معجزة تمكنت من الوصول لنا ثانية ؟

فيضى :

سمعت هذه المكالمة العجيبة من زوجى .. يجب أن أرد ..

شريف :

مبيني .. لمنا فى محكمة أحوال شخصية هنا لا نريد أن
نضيع وقت البرنامج فى كلمة منك وكلمة منه ..

فيضي :

كلا .. الحقيقة أنني كنت على وشك استكمال قصتي وجئت في
المكالمة الأولى ، لكنني لا أرى ما يمنع بعد ما قلته على الهواء ..

شريف :

إن كان هناك جديد فنحن مستعدون للإصغاء ..

فيضي :

حسن . إني . (صوت ضوضاء من بعيد) .. الجيران يدقون
ثباتاً في شفتهم في هذه الساعة المتأخرة .. صوت الضوضاء
هو بالضبط إيقاع أغنية (كعب الغزال) لمحمد رشدي ..

ما علينا . في البدء لاحظت صوت التنفس لزوجي أكثر من
مرة ، ثم لاحظت صوت شحيره .. إنه نفس إيقاع أغنية تقول
(حاكذ روحك .. حاكذ روحك) ..

رفعت :

على قدر علمي لا توجد أغنية بهذا الاسم .. لو كان هناك من
غناها فهو مجنون ..

فيضي :

لا توجد . لكنني أسمعها موقعة كاملة التلحين . فقط شحيره
يمنعها الإيقاع اللازم ..

بدأت أسمع هذه الأغنية مراراً ، ثم صار الأمر يعذبني ..
أصحو من النوم لأراه راقداً على ظهره في ضوء الغرفة الخافت
القادم أكثره من الشافذة .. عيناه لا تتعقان جيداً أثناء النوم لذا
تبدوان مفتوحتين لوبهما أبيض مخيف .. أبيض شبه مضيء
بسبب انعكاس النور . ثم يصير على أسنانه كعادة العصبيين أثناء
نومهم . الصرير يحدث إيقاعاً يقول : (الموت .. الموت) ..
هكذا .. كيف تتوقع مني أن أنام ؟ .. إني أوشك على الانهيار
العصبي عندما يكون في البيت ..

لسبب يتعلق بالشعور بالأمان ابتعت هذا الخنجر وأخفيت عنه .
فقط عندما يكون تحت الوسادة وأبيض بيدي عليه أشعر بأنني
قادرة على النوم ..

رفعت :

لكنك تعرفين أن هذا كله وهم ؟

فيضي :

أعرف أنه على الأرجح وهم ..

رفعت :

جميل .. الفارق الشهير بين الوسائس والضلالات الذى نجده
فى أى كتاب للطب النفسى .. الوسائس يقاتل المريض كى
يتخلص منها ، بينما الضلالات يقاتل المريض كى يحتفظ بها ..
الأولى تعبر عن اضطراب نفسى .. لثنية تعبر عن جنون مطبق ..
إذن أنت ما زلت فى مرحلة الاضطراب النفسى .. لم تعبرى إلى
الجانب الآخر بعد !..

فيضى :

على كل حال لا يهمنى أن أعرف حالتى النفسية قدر ما يهمنى
أن أعرف حالة زوجى ..

رفعت :

لا أفهم هذا الجزء ..

فيضى :

منذ نعومة أظفاره وزوجى شبه مخطوب لابنة عمته . أنت
تعرف كيف تبرم العائلات هذه الصفقات لأطفال فى صفرهم .
(مى) ابنة عمته وهى .. هى ..

رفعت :

نعم .. نعم . حداة ملطخة بالأصباغ لكنها تفتن الرجال لأنهم
أطفال بلهاء يحبون الألوان الزاهية ..

فيضى :

بالضبط . أنت واسع الخبرة كما هو واضح .. طبعا ظل هذا
العهد قلما حتى تخرج فى كلية الهندسة ، وصار عريسا مرموقا ..
راتبه مرتفع بالمناسبة وشكله يشبه ممثلى السينما هنا قرر أن
يتحرر من عهده وأن يقع فى حب تلك الفتاة النحيلة خريجة
معهد الموسيقى العربية ..

رفعت :

وهو ما لم يرق للأمرتين طبعا ..

فيضى :

طبعا .. لابد أنهم استمطروا على الكثير من اللعنات .. وفى
حفل الزفاف حضروا على مريض وأقسم أن عمته كانت دامعة
العينين وهى تبارك لى . حضرت (مى) الزفاف وكانت لها
لبسامة مسمومة كريهة .. بعدها لم تعد الحياة كما كانت . هل
تؤمن بالأعمال ؟

رفعت :

أؤمن بالسحر نعم وأؤمن أن بعض الناس يمارسون هذه الأشياء ، لكن هل ما يمارسونه فعال ؟

فيضي :

على كل حال لابد من شخص يفسر لي سبب عدم إجابي .
ولذلك الحاجر العريب يبني وبين زوجي . لقد صرنا على حافة الطلاق فعلا بلا سبب من أي نوع .. اعتقد أن الطريق ممهد كي يتم الطلاق ويسقط هو كثرة ناضجة في كف الانسة (مي) هذه .. أ معذرة للخروج عن الموضوع لكن هل تسمع هذا الصوت الحفيظ المنتظم ؟ له ذات إيقاع أعنية (بقرة حاحا) . هل تعرفها ؟ أغنية الشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم ..

شريف (في ارتباك) :

فلتعد للموضوع يا فيضي من فضلك (*) ..

(*) في هذا الوقت لم تكن هذه الاعنية معروفة لا بقية من اليساريين ومن الواضح - الكلام عنها مدرج بلديع الشاب باعتباره كلاما في السياسة

فيضي :

من حين لآخر أفتح باب الشقة لأجد تلك اللعبة الصغيرة العلية بشيء قدر لا أدري ما هو .. أحيانا هناك بقعة من الماء مسكوبة بطريقة ترغمني على أن أخطو فوقها عندما أغادر الدار . زوجي قال لي في لحظة صفاء إن عمته من هذا الطراز وتؤمن بهذه الأمور . إنها من طراز (أشنات اشتوت) إياه ..

الأخطر أنني منذ أيام وجدت في غرفة نومى التي أكلمك منها الآن . بل تحت وسادتي قطعة قماش ملفوفة على شيء ما .. تخلصت منها من دون أن أفتحها ..

رفعت :

لا شيء يخيف في هذا .. غالبا هي عظام موتى مع تراب من المقابر ، وبعض السعوايز مكتوبة بطريقة معينة .. هناك الدشير من سحر الأرقام كذلك ..

فيضي :

حقا ؟ .. أنت تمؤنى سرورا واطمئنتا .. تراب مقابر ؟ .. خشيت أن يكون الأمر مخيفا ! .. على كل حال كان زوجي في البيت وقتها واعتقد بشدة أنه هو من وضع هذه النقطة .

رفعت :

هذا مقلق .. ليس لأننى أعتقد أن ما يقمن به فعال ، ولكن لأنه من المخيف أن يعرف المرء أن هناك من يكرهه إلى هذا الحد .. إلى درجة الكفر .. نعم . ما يقمن به كفر سواء كان فعلاً أم لا .

فيضى :

حتى عندما أكون وحدى أقضى الوقت شاعرة بذعر جهنمى من هذا الذى يحدث . يدق قلبى بسرعة فأميز نغمة أغنية (أجرى أجرى) لعبد الوهاب . ويطير النوم من عيني . على فكرة أنا أكلمك ولحن (بقرة حاحا) لا يفارق سمعى ..

رفعت :

هل أنت مقيمة وحدك فعلاً ؟

فيضى :

طيلة الليل .. نعم .. أحياناً أسافر إلى الزقازيق حيث أقيم أهلى ، لكنى أعود هنا دائماً لأن بيتنا ضيق ولا مكان لى فيه .. لكن هناك امرأة مسنة تدعى (أم عصام) تلتى لتساعدنى فى البيت وتخفف من وحدتى . لكنها تنصرف فى التاسعة مساءً .. اليوم بالذات اتصرفت متعجلة حتى أنها لم تخبرنى باتصرافها .

رفعت :

من الذى جاء بها لتعمل عندك ؟ ..

فيضى :

زوجى طبعا .. لم تصل ؟

رفعت :

من أين يأتى الرجل بامرأة عجوز تساعد فى البيت إن لم يكن عن طريق أمه ؟

فيضى :

أمه توفاهها الله بعد زواجنا مباشرة ..

رفعت :

إن .. عمته هى من قدمها له ؟

فيضى :

ربما .. احتمال ولود ..

رفعت :

لم يخطر لك أن هذه العجوز هى من يضع تلك الأعمال السحرية على وسائلك ؟ .. يصعب على أن تصور زوجك المهندس المثقف يفعل هذا ..

فيضي :

هل تعتقد هذا ؟ بصراحة لم يخضر لي ببال . إنها عجوز
طيبة فعلاً ..

رفعت :

احتمال وارد وقوى فخذى الحذر أو نحصى منها . ان لم
تتعب دور العائل فتسوف تتعب دور الدموس .. لا شك ان اميالك
كلها تتسرب إلى عمقه الشمطاء ..

شريف :

توخ الحذر يا دكتور . نحن نتعامل مع أسماء حسية الآن

فيضي :

لقد حكيت لك كل شيء .. أرجو أن تحبرني برأيك . هل زوجي
فعلاً تحت تأثير عمل سحري ؟ .. عنى فترة نحن (بفرقة حسا)
لا يفارق مسمعي .. هذا غريب ..

رفعت :

بيني وبينك . أنا سمعت تلك ارضية من قبل . إنها عمل
عيفري لاجم فواد نجم .. واسم الذي .. (حسا) ؟ .. حكمة
من ذلك ؟ .. ليبت أسية (أنا الميلاسي حسا وسين) ؟

فيضي :

لا لا مزح .. هذا ما سمعته .. سأصمت قليلاً وحاول أن أركز .

رفعت :

لا داعي . من المستحيل أن يصل هذا للصوت الخافت عبر أسلاك
التيكف فقط أريد منك أن تترنى بحذر من فوق الفراش .. بحذر
شديد هاتى كشافاً وألقى نظرة تحت الفراش . هلم !

شريف :

ما معنى هذا ؟

رفعت :

اصبر قليلاً . لم تحتر من كل اعانى الكون إلا هذه الأعنية
لماذا ؟

فيضي :

د .. رفعت ..

رفعت :

ماذا ؟

فيبقى !

هل سمعت ؟ .. هناك .. هناك ثعبان ضخم تحت الفراش ..
أعتقد أنه كوبرا ! .. عندما رأيته أصدر فحيحا غاضبا مروعا ..
(تبكى وتشهق) ..

رفعت :

هذا ما توقعته .. إن أذنك حساستان لدرجة لا تصدق ..
الفحيح الخافت للكوبرا المصرية بدا قريبا جدا في أذنك من
إيقاع (بقرة حاحا) التي يتردد فيها فحيح حرف الحاء في إلحاح
مريب .. الآن سوف نضعين السماعة في هدوء ، وتغلقين باب
الحجرة وتطلبين الجيران أو الشرطة ..

فيبقى !

حاضر .. حاضر ..

رفعت :

ولا تنقئ أبدا في أم (عصام) هذه ..

فيبقى !

نعم .. نعم .. هي من فعل هذا .. فهمت هذا الآن ..

(تضع السماعة)

شريف :

ما معنى هذا ؟

رفعت :

معناه أن تلك العجوز الطيبة التي أرسلتها العمدة قد دست
كوبرا مصرية تحت فراش الزوجة البرينة . لابد أنها أحضرتها
في جوال وفتحته تحت الفراش ثم فرت .. عندما يسود الظلام
والهدوء سوف يخرج الثعبان باحثا عن الجسد الوحيد الدافئ في
الحجرة كلها .. طريقة قتل غريبة لكنها تناسب من امتلأ عقله
بالأعمال السفلية وهذا الهراء ، وبالطبع سوف تحضر العجوز
رفاعيا في الصباح الباكر ليتخلص من الثعبان .. هكذا لا تجد
الشرطة ما يريب ولسوف يعتبرون الحادث نوبة قلبية في سن
مبكرة أو شيئا من هذا القبيل ..

شريف :

هذا صعب التصديق ..

رفعت :

سوف تصدق لو رأيت كوبرا تحت فراشك .. إن الزوجة ذات
موهبة سمعية لا شك فيها ، ولولا هذه الموهبة لهلكت ..

لا اعرف ان كان الزوج يتكلم في نومه أم هي أوهام سمعية
سببها حالتها النفسية ، لكن النتيجة واحدة ..

شريف :

لعل الزوج يسمعنا في السوس الآن . حان الوقت كي تعرف
زوحتك حقا ، والأهم ان تعرف عمك حقا .

رفعت :

بل حان الوقت كي يعرف نفسه أولاً ..

الحلقة السادسة

حكاية بيبة

حكيتها (بيبة)

ان اسمع لها بك .. أنا أخافها وأهابها .. تصور الفتاة
الباردة الصموت التي تعاملك كأنك تمثال طيلة الوقت ، وفجأة
بشرق وجهها وتتأبط ذراعك وتقول . هيا بنا نتناول الغداء
عندك اليوم . مستحيل ان أقبل هذا ولا أستسيغه .

شريف :

نحن ما زلنا بانتظار المكالمة الأولى لحلقة الليلة .. حتى يحين هذا الوقت يطيب لى أن أسأل الدكتور رفعت عن رايه فى موضوع الحلقة السابقة .. تلك الفتاة التى تشعر أن هناك كائنًا ما تحت فروة رأسها .. كلما أزعجت الخصلات وجدت جزءًا منه .

رفعت :

بصراحة .. نحن نقف عند البوابة السحرية بين عالم الخوارق والخيال الصريح . من السهل أن تجتاز البوابة لتجد أننا نتحدث مع مجائين .. لن نتأخر كثيرًا حتى نقابل الرجل الذى تحرر قدمه لتجول فى البيت ليلاً ..

شريف :

لكن هذا حدث فعلاً .. تلقينا مكالمة مماثلة .. هل نسيت ؟

رفعت :

لا بد من الترشيح . لا بد من ذلك (الفلتر) الذى وضعه الله فى أذهاننا . أنت تعرف مشايخ الطرق فى مصر . وكيف أن كل واحد منهم يزعم مريدوه أنه يمشى على الماء ويلحق بمواعيده طيراتها .. هل تعتبر هذه قدرات ميتافيزيقية أم هلاوس ؟ .. هناك

ظواهر غريبة لا تفسير لها وما أكثرها .. قابلت من يقرأ الأفكار ومن يحرك عن بعد .. لكن حتى مع هذه الغرابة هناك منطق ما يجعلك تقبل القصة أو ترفضها ..

شريف :

على كل حال ، نحن بانتظار المكالمة الأولى .. سنرى إن كانت غريبة أم لا .. هل غرابتها من النوع القابل للابتلاع أم لا ..

(رنين الهاتف)

شريف :

آلو .. هل لنا أن نتعرف ؟

فتاة :

هل (تغريد) موجودة ؟

شريف :

لا .. واضح أنها مكالمة خاطئة أخرى .. شكرًا ..

الفتاة :

لا تتعجل بهذا الشكل .. يبدو لى صوتك ظريفًا .. هل لنا أن نتعارف ؟ ..

شريف :

أنا لست (تغريد) . هذه معلومات كافية على ما أظن .
شكراً .

الفتاة :

ومن قال إن هناك (تغريد) أصلاً ؟ أنا أشعر بفراغ في
منزلي ولا أحد ما أعلمه . لذا اطلب أي رقم هل تحب أن
تعرفني . إنني جميلة كأحمل أحلامك . رقيقة كارق خوافك
لطيفة كالطف دعابة سمعتها ..

شريف :

نحن هنا على الهواء في برنامج (بعد منتصف الليل) .
مهمتنا سماع القصص الخوارقية الغريبة . القصص المرعبة
أو التي لا تصدق . اعتقد أن هذا الهدف يختلف عن تسلية
الفتيات الوحيديات ..

رفعت :

شيطان التسلية المعاد عندما أسمع عن سفاح . اعتقد
أحياناً أنه كان يشعر بمثل ولراد التسلية ..

الفتاة :

أنتما لثان الآن . صوت صاحبك يشي بأنه ناضج كبير السن ..

رفعت :

أنا كبير السن لكني غير ناضج .. أرجو أن تضعي السماعة
يا أنسة .. نحن هنا نعمل فعلاً .. قد يبدو عملاً عجيبياً لكنه عمل
نقاضي عنه أجراً ..

الفتاة :

ليكن أنتما تريدان سماع قصص مخيفة ؟ .. سأحكي لكما
عن (سوسو) زميلتي . أنا أدعى (بيسة) على فكرة .

رفعت :

بيسة وسوسو .. طبعاً تتحدثين عن (سوسن) و (بيينة) .
عندما تطلق الفتيات على أنفسهن هذه الأسماء تشعر بأنهن
يبحثن عن المشاكل وأنها متعبات فعلاً .

بيسة :

أنا طالبة في كلية ما .. هي طالبة في ذات الكلية .. كلا
التحق بالدراسة منذ سنة أشهر .. أي أنا مستجدتان ..

لم تكن لنا علاقة ببعض .. هي طالبة شابة ملائكية نوعاً
أو تبدو كذلك .. تحضر المحاضرات بانتظام وأميل إلى الصمت
والتأمل .. لكن عينيها تتكلمان .. عيناها لا تكفان عن ملاحقة
الناس ومتابعة كل شيء .. أمقت طراز الناس الذين لا يكفون
عن اختلاس النظر إليك وأنت منهمك ..

ثم لاحظنا ما هو أغرب .. فيها لا تكف عن تفحص حاجبتنا ..
عندما تنسى دفترك على المكتب لدقائق تجدها تقلب فيه في
فضول ونهم ..

لما كانت الجامعة موقفاً أمنياً مهماً ، فقد رجحت الطالبات أنها
تعمل مع الأمن .. هذا دور شائع وغالباً ما يجذب صاحبه الأنظار
لنفسه لأنه أحمق .. هكذا بدأ يحشونها ويتجنبنها ، وعندما كان
أحد زملائنا في الجامعة يوزع مجلة طبعها هو تنتقد بعض
المواقف الحكومية ، نصحناه أن يخفيها عن (سوسو)

لكن الأمور كانت أعقد من هذا ..

رفعت :

إن موضوع تغريد هذا لم يكن مجرد دعاية أنثوية .. أو هي
دعاية أنثوية قائمة على إقناعنا بأنك تداعبننا مداعبة أنثوية ثم
يتضح أنها ليست دعاية أنثوية .. عندك قصة طويلة ومتشعبة ..
لا يمكن أن تكوني قد تذكرت القصة فجأة ..

بيسة :

لا يهم .. أسمع فحسب ..

كانت (سوسو) غريبة الأطوار فعلاً .. مثلاً كانت تتكلم مع
أية فتاة فتدب إليها لتكشف عن معصمها بلا سبب واضح .. ليس
هذا كل شيء ..

كنا في المختبر ذات مرة نلتف حول واحد من (البنشات) أنا
وبوسي وفافى وماهى . كلنا كنا نعمل على تجربة كهربية واحدة ..
ثم لحقت سوسو بنا لتقف جوارنا .

رفعت :

أنت في كلية عملية إذن ..

بيسة :

نعم .. كان على (بوسي) و(فافى) أن تقوموا بتركيب الأسلاك
العارية بأيديهما . ولهذا كنا قد انتزعنا القابس بانتظار توصيل
الدائرة .. كانت الفتاتان منهنكيتين غارقتين في المزاح .. وفجأة
صرخنا كأن الشيطان مسهما .

اكتشفنا أنهما ترتجفان . ونظرت بسرعة إلى القابس فوجدته قد
أعيد لمكانه !.. لقد تم توصيل الكهرباء في الدائرة بينما الفتاتان

تعملان .. ومن فعل هذا ؟ (سوسو) طبعا .. جريت وانترعت القابس . ولم تكن الفتاتان قد تضررتا بقوة فيما عدا الصدمة العصبية . التفقنا حول تلك المجنونة ننومها على هذا العمل الأخرى ، فقالت في خجل إنها أرادت أن تساعد بأى شكل . وخطر لها أن وضع القابس في مكانه سوف يساعد بشكل ما .. هذا كان أغبى عمل رأيته في حياتي ..

في مرة أخرى كما في مختبر الكيمياء .. كان المعهد قد شرح لنا ما يجب القيام به بصدد التجربة وانصرف . هكذا عكفت كل واحدة منا على الاملاح والأحماض تجرى التجربة بنفسها .. كانت (سوسو) واقفة تتفحص أبواب الاختبار في اهتمام ..

فجأة تصاعدت رائحة عثر (ثنى لكسيد الكبريت Sulphur Dioxide) المهيجة للأغشية المخاطية والعينين . تصاعدت بكثافة غير عادية فرحنا نسهل ورحنا نتلمس الطريق للخروج . نظرت الى الخلف فرأيت أن سوسو هذه هي مصدر الرائحة .. لف استعملت ما هو موجود في المختبر لتصنع هذا الغاز السام . كانت تمسك بأبواب الاختبار وتظنث في ثبات .. كما تتدافع نحو الباب ، لكن الخروج كان مستحيلا بسبب المجون الذى صمم الباب بحيث يفتح إلى الداخل .. فى العالم المتحضر تصمم هذه الابواب بحيث تفتح للخارج ، لكن ما حدث هنا هو أننا كنا نزيد من إحكام غلق الباب بأجسادنا ..

هنا فقط هوى أحد الفتية على زجاج النافذة الموصدة بمقعد من المقاعد فيشمه . وبدأ الأكسجين يتسرب إلى الداخل . كانت هناك حالات إغماء بسبب هذا الغاز اللعين .. لكننا نجونا . وحينما جاء المعهد مذعورا أخبرناه أن تلك الحمقاء قامت بتحضير غاز سام فى مكان مغلق ..

كانت تبكى . وقالت دامة العينين إنها لا تفقه شيئا فى الكيمياء . لقد صبت حمض الكبريتيك على أول ملح صادفته وكانت النتيجة كارثية ..

أمام دموعها ووجهها الرقيق لم يجد المعهد إلا أن يذكرنا بخطورة ما نقوم به .. على المرء أن يعرف ماذا يفعل بالضغط قبل أن يفعله .

رفعت :

من الواضح لك لا تصدقن البتة أنها فعلت ذلك عن جهل ..

بيسة :

لا أصدق أى حرف تقوله .. هذه الفتاة تتصرف عن عمد ورغبة قوية فى الإيذاء . لكنك ترى وجهها الملائكى فتأكد من أنك تهذى ..

رافعت :

على كل حال . نحن لم نبتعد عن المشاكل النفسية كثيراً ..
إن الشخصيات السيكوباتية موجودة في كل مكان ..

بيسة :

لم تستطع أية فتاة أن تتقرب منها .. يوماً هي تحافظ على حاجز
بينها والفتيات الأخريات .. لم تزرها واحدة في بيتها برغم أنها
زارت الكثيرات .. لا نعرف أى شيء عن أسرتها ولا أهلها .

شريف :

على الأقل قد زارتك أنت ..

بيسة :

لقد طلبت منى هذا يوماً وهي تتأبط ذراعى وتلقى نظرة فحصة
على معصمى .. لكنى رفضت بقوة .. لن أسمع لها بذلك .. أنا
أخافها وأهابها .. تصور الفتاة الباردة الصموت التى تعاملت
كانك تمثال طينة الوقت ، وفجأة يشرق وجهها وتتأبط ذراعك
وتقول : هيا بنا نتناول الغداء عندك اليوم . مستحيل أن أقبل
هذا ولا أستسيغه ..

أنا اجتماعية جداً ولى صديقات كثيرات ؛ لذا أشعر أن أمثال هذه
كقن غريب مريب ..

على كل حال من ضمن صفاتى أنتى فضولية كقط ، لذا راحت
أفكارى تتركز على خزانة فى الكلية .. الخزانة التى يسلمونها
لنا فى بداية العام . إنها موجودة فى بهو طويل فى الطابق
الصفلى من الكلية ..

كانت قد نسيت مفاتيحها على المنضدة ونحن فى المختبر ،
هكذا سرقت المفاتيح .. وجدت أنها منهمكة فى تجربة فيزيائية
معقدة فتسللت خارجة ..

جريت إلى البهو .. بحثت عن خزانة وهى تحمل رقم 313 ..
جربت مفاتيح لو ثلاثة حتى وجدت .. افتح الباب المعنى الصغير ،
فلم تكن محتويات الخزنة غريبة .. معطف قديم .. كتب دراسية ..
ثم .. مجموعة فاخرة جداً من الخناجر الطويلة المدهبة .. حوالى
مئة منها ..

لماذا تحتفظ الانسة الطيفة بشيء كهذا فى خزانة ؟

هنا سمعت صوت خطوات قادمة فوثب قلبى إلى فى ، وهرعت
أغلق الخزنة وجريت إلى خزانة ورحت أظاھر بئنى أبحث فيها ..

كانت هى بالفعل !

كانت هي وقد أحسنت صنعا عندما بواريت في الوقت المناسب ..
لكنها اتجهت في ثقة الى خزانة وفتحتها ..

رفعت :

حسبت المفاتيح معك !

بيسة :

نعم هي معي كنت أفكر في طريقة إرجاعها

شريف :

وما المشكلة في أن تكون مع سوسن نسخة احتياطية ؟

رفعت :

نعم . هذا وارد ، لكن يجب أن يندھش المرء أولاً . بقى
الدنيا بحثاً عن مفاتيحه . يسأل الجميع .. ثم بعد وقت طويل
يتذكر أن معه مفاتيح احتياطية ، لكن هذه الفتاة تصرفت كلَّها
تعرف كل ما حدث ..

بيسة :

هذا أثار رعبى . ما أثار رعبى أيضاً أنها التفتت لى .. لاشك
في أن الذئب كان مرسوماً على وجهى .. ضحكت ضحكة شيطانية
وقالت بطريقة عارضة : « كيف حالك يا (بيسة) ؟ » . بعض

لنفس يحبون أن يضعوا خيوطاً شفافة تحيط بحياتهم كي يعرفوا
إن كان أحد عبث بها ! »

سألتها في رعب عما تفصده فلم تقل شيئاً .. فقط قالت :
« هو مجرد خاطر » .. ثم اغتقت خزانة ورحلت ..

د . (رفعت) . أنا أخاف هذه الفتاة كالموت ..

رفعت :

معك حق .. هي كذلك .. لكنى ما زلت أميل إلى أنها شخصية
سايبوبائية تجد لذتها في إيذاء الآخرين .. لا أكثر ولا أقل ..

بيسة :

إنها تعرف الكثير عنى الآن ..

رفعت :

نسيت ميالا إلى أنها ستفقد هذه الخناجر في جسدك كل
ما عليك هو أن تتجاهلها . كفى عن الفصول المودى ودعى
الحق نصدق .

بيسة :

هذا كل شيء ؟ .. هل لى أن أظعن ؟

رفعت :

أعتقد ذلك . تجاهل بعض المرضى النفسيين أكثر نفعا ..

بيسة :

شكراً يا دكتور رفعت . سوف أفكر فى هذا .. لكن لو وجدتم
جنتى ممزقة بالخناجر يوماً ما فليكن أن تتذكروا هذه الكلمة ..

رفعت :

أعدك بهذا ..

(تضع السماعة)

شريف :

مشكلة سهلة نسبياً ..

رفعت :

ليس إلى هذا الحد .. هناك علامات استفهام كثيرة تحيط بهذه
القصة ، ويبدو أن النهاية لم تكتب بعد ..

الحلقة السابعة

حكاية سوسو

نحكيها (سوسو)

هكذا صارت شكوى منحصرة فى فتاة واحدة ..

فتاة واحدة تعرف كل شيء وتنتظر بالبراءة ..

فتاة واحدة تدعو الفتيات إلى أماكن غريبة من أجل
التغيير والمرح .. طبعا سوف تتضمن هذه الأماكن المقابر
قريباً جداً ..

شريف :

من جديد أيتها المستمعون الكرام مع حلقة جديدة من
(بعد منتصف الليل) . نحن في انتظار مكالماتكم الأولى التي
ستكون وفودا يشغل آلة الرعب ..

رفعت :

فلا تتوقف أبدا . أرجو ممن يريد التكرار أن يكون دقيقا ..

شريف :

كالعادة نستمع إلى الأغاني وننتظر المكالمات الأولى .. مع
الفنان (محمد رشدي) وأغنية (كعب الغزال) ..

رفعت :

هذا يذكرني بالمستمعة التي كانت تسمع إيقاع أغنية (كعب
الغزال) عندما يدق جيرانها شينا ..

شريف :

لم أعد لأذكر .. إن الحلقات تتدخل في ذهني .. فقط كلها ممتع ..
استمتعنا فيها وأمتعنا .. واستفدنا وحاولنا أن نفيد ..

رفعت :

ولم ننجح ..

شريف (يضحك في عصبية) :

السخرية .. دائما السخرية ..

(تبدأ الأغنية) .

(رنين الهاتف)

شريف :

ألو .. يبدو أن المكالمات سريعة اليوم .. من المتكلم ؟

صوت فتاة :

أنا .. أنا (موسن) ..

شريف :

مرحباً يا موسن .. عساك تعرفين أن هذا برنامج بعد منتصف
الليل الذي يناقش التجارب الغريبة للمستمعين ..

موسن :

بالطبع .. أنا لست غريبة ..

شريف :

لا أنهم من لا يعرف هذا بالغباء ، لكننا نتلقى مكالمات على
الأقل من هذا النوع في كل حلقة .. البعض يحسب أننا البقال
والبعض يحسبنا السجل للمدني .. وهكذا ..

سوسن :

نعم .. نعم ..

شريف :

سوف أكون مسرورا لو عرفت أن هذا اسمك الحقيقي ..

سوسن :

نعم ولا .. على كل حال أنا معروفة باسم (سوسو) بين

صديقاتي ..

رفعت :

سوسو .. الحلقة السابقة كانت مع من تدعى ببسة .. مصادفة

عجيبة ..

سوسن :

ليست مصادفة .. أنا هي (سوسو) ذاتها التي حكى عنها

(ببسة) .. وقد سمعت الحلقة ، لذا قررت أن أكون هنا هذا

الأسبوع ..

رفعت :

هي مصادفة كذلك ..

سوسن :

على كل حال أنت تعرف أنني لم أكن في الكلية منذ أشهر .. هذا صحيح .. لكنني أتيت للكلية بعد (ببسة) مباشرة .. قبل هذه البسة الأشهر لم أكن في كلية أخرى . لم أكن في مصر .. لو أردت للدقة : لم أكن في مكان تعرفه ..

رفعت :

هل بدأتنا هذه النغمة إذن ؟

سوسن :

من الخطأ الجسيم أن أقدم لك هذا الاعتراف المجاني ، خاصة على جهاز الراديو .. لكنني مضطرة لأن (ببسة) هذه أقوى مني . أقوى منا جميعا . يجب أن يحترم الناس ..

رفعت :

هل من مزيد من الإيضاح ؟ .. ما سر قوتها ؟ .. هل هي قريبة وزير ما ؟

سوسن :

لا .. يجب أن أقول لك إن رئيسي استدعاني .. يمكن أن تعتبرني عميلة في جهاز سرى .. هذا أقرب شيء ممكن لفهمكم .. رئيسي في

عالمنا الذي لا تعرفون عنه أى شيء . قال لى إن أحد الشياطين
من أبناء (بعلزبول) موجود فى مصر .. بالتحديد فى مدينتكم .
بالتحديد فى هذه الكلية التى صرت فيها ..

رفعت :

عم تحدثين بالضبط ؟

سوسن :

الأمر كما سمعته وفهمته . هناك شيطان قد تحرر وهو طليق
اليدى فى عالمكم ، وقد تفكر فى شكل طالبة جامعية لهذا كان
على أن الحق به .. هذه مهمتى فى الحياة . قال لى رلىسى إن
هذا الشيطان تحفى فى شكل فتاة . وهو يحمل علامة الوحش
666 على معصمه غالباً ، وهو من الكبريت لذا يتحمل أبخرة
الكبريت ، ولا تقتله النيران .. فقط على أن أفتش بحذر .. إن تغيير
الشكل أمر غاية فى السهولة على وعلى . هكذا هبطت على
مدينتكم العجوز .. وعلى الفور صرت فتاة اسمها (سوسن) ..
فجأة صارت كل أوراق الكلية تحمل معلومات عن تاريخ التحاقى
وشهادتى السابقة ..

الآن صار على أن أدمج فى الحياة الجامعية وأن أراقب بعناية ..

رفعت :

عزيزتى .. لقد بدأنا طور الهلوس ..

سوسن :

اسمع ولا تعلق .. فقط الحمقى لا ينتظرون نهاية القصة قبل
أن يعلقوا عليها ..

لقد حصرت دائرة شكوكى فى الفتيات ، ورحت أراقبهن فى حذر ..
أراقبهن كالصقر . بعضهن كانت له تصرفات غريبة .. لهذا رحى
أحاول أن أثبت الحقيقة أكثر .. ولهذا رحى أفتش أراقهن .. كنت
أبحث فى معصم واحدة منهن عن علامة الوحش .. إن علامة الوحش
خالدة ولا تتبدل أو تحفى مهما أتقن التكر .. هكذا استطعت أن
أضيق دائرة البحث لتتحصر فى سبع فتيات .. كلهن فى ذات الدفعة
التى أدرس فيها .. ذات القطاع الدراسى (السكشن) ..

هؤلاء الفتيات كفت أكملمهن طويلة دوماً .. فشلت تماماً فى
رؤية سواعدهن .. اثنتان كانتا تضمدان معصميهما هما (فافى)
(وبسة) ..

قررت أن أجرب الكهرباء كما حكى لك (ببسة) .. تظاهرت
بالغباء ومررت بالكهرباء فى أجساد مجموعة من الفتيات فى
مختبر الفيزياء .. جرعة غير قاتلة لكنها مؤلمة بحق .. ما لم

نقله لك (بيسة) هو أنها كانت بين الفتيات اللاتي تلقين الصدمة ، والوحيدة التي لم يحدث لها شيء ..

جربت أن أركب غاز ثقي أكسيد الكبريت في المختبر ، والنتيجة كانت صاعقة .. معظم الموجودين كادوا يخنقون لكن واحدة فقط بقيت هادئة تفتح عينيها عن آخرها وتراقب ما يحدث . إنها بيسة طبعاً ..

أين بيتها ؟ .. من أسرتها ؟ . لا أحد من الفتيات يعرف وهي بالطبع لم تخبرك بذلك . عندما طلبت أن أزور أسرتها رفضت في عصبية

هكذا صارت شكوى منحصرة في فتاة واحدة ..

فتاة واحدة تعرف كل شيء وتنتظر بالبراءة ..

فتاة واحدة تدعو الفتيات إلى أماكن غريبة من أجل التغيير والمرح .. طبعاً سوف تتضمن هذه الأماكن المقابر قريباً جداً ..

عرفت أن هذه الفتاة فتشت خزائني بعد ما سرق مفتاحي .. بالطبع نحن لا نحتاج للمفتاح لفتح أي شيء .. أي مفتاح يصلح .. لكنها وجدت الخناجر التي خصصتها لقتلها .. سرقها مني .. لم نقل لك إنها سرقها لكنها فعلت ..

رفعت :

صبراً يا بنيتي .. رافعة بأعصابي .. هل تحاولين إقناعي بأنك لست بشرية ؟

سوسن :

ولا هي ..

رفعت :

وتريدين أن أصدق هذا ؟

سوسن :

يجدر بك أن تفعل بسرعة .. إن ثمن الخطأ باهظ جداً لن يتحمل عالمك ولا مجتمعك دفعه ..

رفعت :

وماذا تتوین عمله ؟

سوسن :

لقد فشلت في مهمتي .. لن أستطيع تغييرها من دون الخناجر .. كل ما أستطيع عمله هو إنذار العالم من خطرها ..

سوف أرحل وأعتقد أنني سأعقب .. لكنى على الأقل حاولت ..

رفعت !

هل تعتقدن أنها ستحاول فذلك ؟

سوسن !

يمكنها ذلك ما دامت الخناجر معها .. لكن

صوت امرأة :

لا تقاومى يا صغيرة !

(صوت جلبة وصراخ) .. لا .. دعونى .. لا !!

رفعت !

(سوسن) .. هل أنت معى ؟ .. (سوسن) ..

صوت امرأة :

(سوسن) لم تعد هنا يا دكتور رفعت ..

رفعت !

ماذا ؟ ماذا حدث لها ؟ من أنت ؟

المرأة :

لا شيء .. أنا .. (صافيناز الخولى) استشارية الأمراض النفسية فى هذه المصحة .. أسفة جداً لأن سوسن تمكنت من الإفلات والاتصال بك من غرفة المدير .. لكننا بحثنا عنها ووجدناها ممسكة بالهاتف وهى منكشمة جوار المكتب .. سنحقتها بمهدئ وسوف تنام حالاً ..

رفعت !

هذا يعنى أن .. ؟

المرأة :

نعم .. (سوسن) مريضة بارانويا تقليدية .. تعتقد أنها مرسلة من عالم آخر ومهمتها القضاء على شيطان تسلل إلى عالمكم .. كل هذا سخف طبعاً .. أكرر اعتذارى ..

رفعت !

توقعت هذا على كل حال من كلماتها الأولى .. لكن شد ما هى

مقتعة !

المرأة :

المرضى العقليون يشعرون طاقة نفسية تقنع .. هذا معروف ..
والآن أكرر اعتذارى .. سلام ..

(تضع السماعة) ..

رفعت :

هكذا تصير الحياة منطقية ..

شريف :

للمرة الأولى لا أشعر براحتك هذه ..

رفعت :

لماذا ؟

شريف :

لقد بحثوا عنها في المستشفى فوجدوها تختبئ معسكة بالهاتف
جوار مكتب المدير . من ثم أمسكوا بها وقيدوها .. متى نكر اسم
(رفعت إسماعيل) وكيف عرفت الطبيبة أنك من يتكلم على
الطرف الآخر ؟

رفعت :

ربما كانت الطبيبة تصفى للراديو عندما فوجئت بمرضايتها
تحكى القصة ..

شريف :

ربما .. لكن ماذا عن صوت الطبيبة ؟ .. أليس شبيبها للغاية
بصوت سمعناه الأسبوع الماضي ؟

رفعت :

هل تتق بذاكرتك لهذا الحد ؟

شريف :

لا تنس أنني مذبذب .. أى أنني رجل يعيش بأذنيه .. المذبذب الذى
ينسى الأصوات لا يستحق مهنته .. رأتى الخاص أن القصة الثانية
حقيقية وأن (سوسن) سقطت فى يد (بيبة) هذه ولنسوف تتخلص
منها ، لكنها أرادت أولاً أن تقتنعا أن كل ما قيل هذيان مجانين
لذا تكلمت بلسان الطبيبة .

رفعت :

حكاية (سوسن) ضد حكاية (بيبة) .. فمن من الفتاتين
نصدق ؟ .. قصة (بيبة) أقرب إلى المنطق ، لكن قصة (سوسن)
أقرب إلى ما نشعره فى قلوبنا الآن .. أعتقد أن علينا أن نحاول
معرفة مصدر هذه المكالمات بالاستعانة بالشرطة .. لو كانت من
مصحة عقلية فـ (بيبة) على حق .. أما لو لم تكن فلحن فى
مشكلة .. مشكلة كبيرة بالفعل !

الحلقة الثامنة

الأخ السابع

بمكيتها (مجهول الاسم)

ومن قال إن الانتقام عاطفة راقية ؟ .. على قدر علمي كل الحيوانات تنتقم ، وقد قرأت ذات مرة قصة فيل حديقة الحيوان الذي ظل يختزن الحقد ضد حارسه عدة أشهر إلى أن أتاحت له فرصة سحقه ..

شريف :

هنا برنامج (بعد منتصف الليل) .. نحن في انتظار مكالمة النيلة .. أرجو أن تكون الحلقات السابقة قد رآلت لكم .. في الحلقة الأخيرة سمعنا قصة المستمع الذي يذيع جهاز التلفزيون الخاص به برامج لم تنبأ أية محطة .. قصة غريبة ومرعبة ، لكننا ما زلنا نأمل فيما هو أفضل ..

رفعت :

القصة الأفضل لم تحك بعد على كل حال .. نحن ننتظرها منذ بدأ البرنامج في البث ..

شريف :

نعم .. هذا يجعل الحياة محتملة .. وكما يقول (ناظم حكمت) :
إن أجمل الأطفال من لم يولد بعد ، وأجمل البحار ما لم يوجد بعد ،
وأجمل ما فكرته لك يا حبيبتي لم أفكره بعد .. مصيبة أن يعرف المرء يقيناً أنه سمع أفضل شيء ممكن ..

رفعت :

على كل حال هذا أفضل من أن تتوقع أن الأسوأ لم يأت بعد ..
كلما حسبت أنك بلغت القاع اتضح أنه ما زال بعيداً ..

(ونين الهاتف)

شريف :

آلو ؟

صوت رجل :

مساء الخير .. برنامج (بعد منتصف الليل) ؟

شريف :

نعم يا سيدى .. حتماً ..

الرجل :

لنا (عبد السلام البسطاوى) من (منية شنتنتا عيش) .. الواقع أنه لا توجد قصص مرعبة فى حيلتى ، لكنى أكتب شعرا جيدا .. هل لى أن أقول شيئا ؟ ..

بعد منتصف الليل .. نعود لى نكراك

بعد منتصف الليل .. أستمع هواك ..

عندما كنا نحب بعضنا .. وكنت لى ..

شريف (منصوتا) :

سيدى .. سيدى .. ليس هذا مجال الشعر .. للبرنامج غرض محدد ..

الرجل :

وكنت الطيور تفرد باسمنا ..

وكنت أحبك كثيرا .. وكنت تحبيننى أنا ..

ثم جاء البعد .. وطفح لى الكيل

عندما استعدت ذكراك .. بعد منتصف الليل ..

شريف :

استاذ (عبد الرحمن) .. أرجوك أن تنتظر قليلا ..

الرجل :

بعد منتصف الليل .. حيث رفعت اسماعيل

يحل مشاكلنا .. بصبره الجميل

وشريف المعنى .. يا أعظم مذبح

نقدم لنا الرعب الفنى .. والخيال المريع

(يقطعون الخط)

رفعت :

كان هذا رأى دوما .. عندما يتحمس الشاعر ويبدأ فى إنشاد قصيدة فلا طريقة لمنعه إلا وضع الديناميت فى فمه ..

شريف :

إنه متحمس ..

رفعت :

أخطر الناس طراً هم المتحمسون .. سوف ينتهي العالم يوماً على يد واحد متحمس .. على كل حال الأخ (عبد الرحمن) هو أول من يكتب شعر للرعب في التاريخ .. هناك محاولات ساذجة لإجبار آلان بو ، لكن (عبد الرحمن) تفوق على نفسه .. لم أشعر بمثل هذا الذعر من قبل . الذعر من أن يستكمل قصيدته ..

(رنين الهاتف)

شريف :

هل من شاعر آخر ؟ .. آلو ؟

صوت رجل :

لن أذكر اسمي لو سمحت .. أنا أتكلم من هاتف عمومي لو خطر لكم أن تتابعوا الاتصال ..

رفعت :

بداية قوية ..

الرجل :

أنا قتلت (عباس) .. هذا صحيح .. لكنه استحق ذلك ..

شريف :

بداية أقوى .. لكن لنا طبعاً أن نفترض أن اسم (عباس) مستعار ..

الرجل :

طبعاً .. ما معنى أن أخفي اسمي وأذكر اسم من قتلته ؟ .. إن (عباس) صديقي وهو الابن السابع من أسرة كبيرة في قريته .. أبوه أنجب ذكوراً فحسب ، وكلهم أكبر من عباس لهذا أتوقع أن يكون انتقامهم مريعاً .. ليس البوليس هو ما أخشاه هؤلاء لن ينتظروا البوليس ليأتي بحقهم ..

رفعت :

هلا شرحت لنا ؟

الرجل :

عباس كان مدلاً قاسداً .. إنه الصورة الأولية للكذب .. ما إن تخرجنا في الكلية حتى جاء لي واقترح أن نبدأ مشروعنا الخاص

بانتظار التعيين .. قال لى إن الوظيفة الحكومية لن تحل لو تقدم أى ربط . قال لى إن بوسعنا أن نقيم مشروعاً لبيع المواد الغذائية بسعر الجملة .. هذا مشروع مرعب لكنه كان قد رسم كل شيء ، ويبدو أن دراسته الجامعية فى كلية التجارة جعلته يعرف كل هذه التفاصيل ..

لقد استكنت وحصلت على كل قرش يمكن أن أحصل عليه ، كما تشاجرت مع أسرتى إلى أن أقنعتهم بأن يبيعوا قطعة من الأرض تخصنا .. كل هذا المال وضعته فى يد عباس كى نبدأ .

ابتعنا بعض التلجيات الأتقية المناسبة للحوم .. استأجرنا المكان . ثم توارى عباس تماماً ..

بحثت عنه فى كل مكان .. فى قريته .. فى المقاهى . لدى أصدقائه .. لا أثر له ..

أخيراً وجدته لدى صديق من أصدقائه .. كنا يمضيان ليلة ماجنة واعترف لى وهو لا يفقه ما يقول إنه أتفق مالى كله .. لا يعرف فيما أنفقه لكنه لا يملك مليوناً منه ..

قال لى ضاحكاً : تجارة مواد غذائية .. هل تحسبها لعبة ؟ .. السوق ملئء بأباطرة قادرين على تمزيق طفلين مثلنا ..

سأنته عما أفعله وقد أخذ هو كل مليم فى عالمى ، فقال ضاحكاً : الله يعرض عليك ..

هذه كانت الإجابة ، وهذا يضعك فى الحالة النفسية التى صرت فيها ..

لقد أمضيت يومين أجوب المقاهى شارداً .. لا أستطيع العودة إلى أسرتى ولا أستطيع أن أنام .. شربت ألف لفافة تبغ وألف قدح قهوة ..

رفعت !

الأحمق وماله يفترقان سريفاً .. يوسفنى قول هذا لكنه دقيق ..

الرجل :

نعم .. كنت أحمق .. لكنى لست سهل الهضم . هكذا يصير الناس مجرمين . هكذا رحت أبحث عن عباس من جديد . فأتى له اتنى بحاجة إليه لبيع تلك التلجيات التى ابتعناها ..

رفعت !

أوشك أن أقرأ قصة ما حدث فى صفحة الحوادث ..

الرجل :

بالضبط .. لقد جاء وهو يأمل في سرقة جديدة يظفر بها ..
أنت تعرف باقى القصة .. أغلقت المحل وطلبت منه أن يفتح
الثلاجة ليرى إن كانت تعمل أم تالفة .. لما اتحنى هويت على
رأسه بثقل حديدى .. هوى كالتزكبية على الأرض .. تحسست
نبضه فأدركت أنه ميت .. بالتأكيد ميت .. لكنى برغم هذا حملته
ووضعتة فى إحدى الثلاجات وقمت بتشغيلها ، ثم أغلقتها بالمفتاح
بإحكام .. أنت تعرف تلك الثلاجات الشبيهة بالتوابيت ..

عندما أغلقت النور وغادرت المحل كنت أشعر براحة عظمى ..

رفعت :

هذه حماقة كبرى .. هل كنت تعتقد أنك ستتجو بفعلتك؟؟
الجرائم غير المحسوبة من هذا الطراز تدل على سيطرة ما تحت
قشرة المخ .. أى أنك كنت حيوانا ..

الرجل :

نعم .. ومن قال إن الانتقام عاطفة راقية ؟. عنى قدر علمى
كل الحيوانات تنتقم ، وقد قرأت ذات مرة قصة فيل حديقة
الحيوان الذى ظل يختزن الحقد ضد حارمه عدة أشهر إلى أن
أتاحت له فرصة سحقه ..

رفعت :

أكمل ..

الرجل :

قضيت يومين بين منازل أصدقائى ثم عدت إلى المحل ..

فتحت الثلاجة لأرى الجثة .. كانت حيث تركتها تماماً فى ذات
الوضع ، لكن إحدى الساقين مفتوحة عن آخرها لتستقر قدمها
فى ركن الثلاجة أو التابوت .. كان هذا غريباً .. طبعا كان أول
شئ خطر لى هو أنه كان حياً فى المرة الأولى وأنا جاهل ..

على كل حال أعدته لوضعه السابق وأغلقت الثلاجة وفارقت
المكان .. كانت خطتى هى أن أتركه عدة أيام ثم أرتب سيارة
أنقله بها إلى حيث أدفنه فى الصحراء .. عندما يتأكد اختفاؤه
سيكون على مواجهة أسئلة الشرطة .. لكن يمكن تحمل هذه
مادمت أدرك يقينا أننى لم أترك خلفى أثراً ..

رفعت :

طبعا عندما عدت وجدت ساقه فى ذات الوضع ..

الرجل :

نعم . وجن جنونى .. أنا متأكد من أنه مات .. لو لم يكن قد
مات من الضربة فمن البرد والجوع والظمأ .. هكذا أغلقت

الثلاجة بإحكام من جديد وغادرت المحل بعد ما أحكمت غلقه ،
وقررت أن أتغيب أسبوعاً ..

عدت بعد أسبوع لفتح الثلاجة .. وماذا تتوقع أنني وجنته ؟ ..

رفعت :

الساق في ذات الوضع ؟

الرجل :

لا ساق . لا جثة . ! ! الثلاجة خالية يا دكتور .. خالية
تماماً ! . المحل مغلق كما تركته والثلاجة مغلقة كما تركتها ..
برغم هذا اختفت الجثة !

فررت إلى قريتي وقضيت أسبوعاً لعين .. كنت محمومًا بلامرض
معين ..

والحقيقة أن مخاوفي تحققت لكن ليس فيما يتعلق بي . وليت
هذا حدث لي أن .. لقد وجدوا أخى ميتاً في الحقل . كان يعمل
هناك في ساعة متأخرة عن غروب الشمس .. لا يعرفون كيف
ولا لماذا مات . لكن من غسل جثته قال إنها كانت خالية من
الدماغ ! . الفلاحون فسروا الأمر بأنه رأى ما يخيف ..

أنا كنت هناك وقت الدفن ورأيت ثقباً في عنقه .. ثقباً صغيراً
لم يلحظه طبيب الوحدة الصحية ، لكنني لاحظته ..

شريف :

أها ! .. هذه النعمة تبدو مألوفة .. لا تقل لي إن صاحبك
تحول إلى مصاص دماء من فضلك ..

رفعت :

لا أرى أي شيء سخيف فيما قال بفرض أنه صادق .. بفرض
أنه غير مخبول .. عباس صديقك هو الابن السابع في أسرة من
الذكور . الحقيقة أن وضعه ممتاز كي يكون مصاص دماء ..
قالوا في الغرب إنه يسهل عليك معرفة مصاص الدماء ؛ لأنه
يكون الطفل السابع لأخوة من نفس الجنس .. أما عن موضوع
الساق .. فلو افترضنا أن الثلاجة تحولت إلى تابوت لقلنا إن هذه
علامة أكيدة على مصاصي الدماء .. عندما يموت الرجل وتفتح
قبره تجد قدمه موضوعة في ركن التابوت . هكذا يعرفون أنه
سيصير مصاص دماء ويغادر قبره ، وهكذا يقطعون رقبتهم
ويحشون فيه بالتلوث ..

شريف :

د . رفعت .. هذا كلام مفزع فعلاً ، لكنه غريب عن ثقافتنا
تماماً ..

رفعت :

كل شعب في العالم لديه قصص مصاصي الدماء الخاصة به .
صحيح أن الأسطورة بدأت في أوروبا الشرقية لكنها موجودة في
العالم كله . إن أهم أساطير مص الدم موجودة عند السلافين ..
لفظة Vampire ذات أصل سلافي .. تذكر أن دراكيولا روماني ..
هناك انقسام كنسي مهم حدث عام 1054 عندما اعتنق الصرب
والروس والبلغاريون العقيدة الأرثوذكسية ، بينما اعتنق التشيك
والبولنديون الكاثوليكية . كانت هناك مشكلة الجثث التي لا تتعفن
في التربة .. هذه الجثث اعتبرها الكاثوليك جثث قديسين بينما
لأسباب واضحة اعتبرها الأرثوذكس جثث مصاصي دماء ..

الجاتجريل GANGREL كما قلنا نوع من مصاصي الدماء
يفضلون الأماكن المقفرة ، ولهم قدرة فائقة على تغيير الشكل إلى
ذئب أو وطواط . إنهم يحبون معايشة الحيوانات الضارية لأن
هذا يناسب طبيعتهم أكثر . مع الوقت ينمو لهم شيء حيواني
مثل عين النقطة أو الفراء أو أذن الوطواط .

في الهند يؤمنون أن البطيخ الذي يترك في البيت حتى يفسد
يبدأ في الحركة ويتحول لكانين يمتص الدم !.. الهند عامرة
بأساطير مصاصي الدماء .. هناك الـ (بوتّا) الذي يجوب الليل
ويهاجم الأحياء كالغول .. بعض تلك المخلوقات لها جمجمة قابلة

للتنزع لشرب الدم فيها .. إلا أن أشهر مصاص دماء هو (كالي)
ذات الأربعة الأذرع والتي تلبس حول عنقها جماجم الموتى ولها
أنياب حادة .. يقال إنها بهذا تهزم الإله (راكتبيجا) الذي كان
يعيد التجسد من قطرة دم واحدة .. لهذا تحرص على ألا تترك
أية قطرة دم .. هناك الأساطير بونسام في غانا وهو مصاص دماء
يتولّى بين الأشجار ويهاجم للعبرين ... لداشناقار في أرمينيا الذي
يمتص الدماء من أقدام المسافرين ليلاً .. في ألبانيا (اللوجات) .. في
أستراليا (يارا ما يها هو) .. في بلغاريا (أوبور) في الصين
(شيتج شيه) .. يخرج من جثة منتحر ويبدو بشرياً لكنك تعرفه
عندما لا يتمكن من عبور الماء . الفرايغولاكاس في اليونان
الذي يأتي لدارك ويناديك بالاسم طالباً الدخول ..

خذ عندك الوحوش حمر العيون خضر الشعور في الصين ،
وخذ (لاميا) اليونانية التي هي امرأة وأفعى مفا ، والثعالب
مصاصة للدم التي تمشي في مواكب عندما يكتمل القمر في
اليابان ، والرأس الزاحف (بينانجالانج) في ماليزيا .

شريف :

لا أعرف كيف تذكر كل هذه الأسماء من الذاكرة ؟

رفعت :

لو عشت حياتي لعرفت ما أعرفه ..

شريف :

هل يعنى هذا وجود مصاصى دماء أم يعنى أن الإنسان يخرف فى كل مكان وزمان ؟

رفعت :

يعنى أن هناك شيئاً ما ..

الرجل :

هذا عرض شائق ياد رفعت . لكنك لم تشرح لى ما يريد منى .

رفعت :

سؤال غريب .. الانتقام طبعاً ..

الرجل :

وماذا أفعل ؟

رفعت :

من دون مصاصى دماء فى القصة ، سوف أتصحك بأن تسلم نفسك للشرطة كإى قاتل . ربما كان السجين أكثر أماناً .. لا توجد جثة على كل حال وسوف يتعب رجال الشرطة كثيراً جداً ..

الرجل :

على كل حال أنت أثرت لى طريقى بحق .. ثمة نقطة أخيرة .. أرجو أن تكلم صاحبى هذا ..

رفعت :

صاحبك ؟ .. عم تتكلم ؟

صوت ثان :

مساء للخير يا دكتور .. أنا عباس !

رفعت :

ماذا ؟ .. عباس من ؟

عباس :

عباس الذى مات ودفن فى ثلاجة .. الحقيقة أننى كنت مساهراً مع صديقى وقررنا أن نتصل بك .. يقولون إن عندى موهبة فى كتابة قصص الرعب ، وقد خطر لى أن أجرب .. كتبت سيناريو صغيراً قام بأدائه صديقى الذى اتصل بك .. إن صوته مقتنع وواضح النبرات .. أردنا معرفة تأثير هذه القصة عليك وعلى مستمعك ..

رفعت :

هل هذه محاولة للتطرف ؟

الحلقة التاسعة

محمووود !

تحكيها (عدام فاتن)

كان القط يقف الآن في ركن الصالة ينظر لى تلك النظرة
الواقحة المزعجة ولا يبدو أنه ينوى أن يطرف بجفنيه ..
لا عجب أن اعتبره الفراعنة إلها واعتبره المحدثون
شيطانا

عباس :

بل هي عرض لعمل أدبي مع طلب رأيك .. اعتقد أننا كنا
مقتنعين .. لقد نجحنا في إقناعكم وهذا يعنى أنني أديب موهوب !
والأجمل أنك التقطت طعم الأخ السابع والساق ..

شريف :

كنت تضيع وقتنا إذن ..

عباس :

لم نتعمد شيئا . أنتم تريدون قصة ممتعة مخيفة ونحن فعلنا
ذلك . نعتذر لو كنا قد سببنا أى إزعاج لكما ..

(يضع السماعة)

شريف :

برغم كل شيء ، هذا مقلب ممتاز ..

رفعت :

نعم . أشعر بغیظ لا حد له وأتمنى أن يتشاجرا الليلة فيهشم
صاحبه رأسه . لو أنه فعل ذلك ووجد ساق عباس فى ركن
الصندوق غذا فليعلم أننا لن نساذه فى حل هذه المعضلة !

شريف :

هذه حلقة جديدة من برنامجكم (بعد منتصف الليل) ..
البرنامج الذى تبقون ساهرين بانتظاره حتى الساعة الأولى
من صباح الجمعة .. معكم (شريف السعدنى) وضيفنا الدائم
د. (رفعت إسماعيل) . أسألكم أمراض الدم .. لهذا أسأله :
لماذا أمراض الدم ؟

رفعت :

كنت تحاول تزجية الوقت طبعا حتى نأتى أول مكالمة .. ليكن .
لقد جربت فروع الطب عامة كطالب ثم كخريج شاب .. لم أكن
مولعا بالجراحة ففكرت فى فرع من فروع الطب الباطنى ، وقد
بدا لى الإنسان لغزا وقواعد اللعبة تتغير فى كل دقيقة . لا يوجد
شئ ثابت أو مؤكد .. لو رأيت مائة مريض بالتيفود لرأيت مائة
شكل مختلف .. مريض الذئبة الحمراء قد يتساقط شعره وقد تتلف
كلية سيار .. الكلية قد تتلف على مدى أيام أو أعوام .. قد
يعانى مريض الصدفية من مجرد بقعة خضنة صغيرة على ساعده
وقد يتحول لشئ مربع شبيه بالسحلية .. كل شئ وارد وكل
شئ مستبعد .. فقط فى أمراض الدم وجدت قواعد شيه ثابتة ،
ووجدت أن التفكير المنطقى يمكن أن يقودك إلى الصواب .

شريف :

إن لا علاقة لمصاصى الدماء بالأمر ..

رفعت :

عندما اخترت تخصصى لم أكن قد قابلت الكثير من القصص
المخيفة .. فقط اخترت الفرع الذى تقلد فيه الطبيعة الكتب
وتلتزم بها . ثم سافرت إلى أسكتلندا ونلت الدكتوراه ، وبدأت
حياتى واهتماماتى تتشكل ..

شريف :

هل أحببت أسكتلندا ؟

رفعت :

كان هناك جو عام من المودة والصفاء جعلنى أحب البلاد فعلا .
البروفسور (ماكيلوب) عاملنى كابن له ، وإن كان حازما أقرب
إلى الشدة أحيانا .. انطباعى عن البريطانيين سلبى غالبا ، لكن
أسكتلندا تختلف ..

شريف :

ألم تفكر فى الاستقرار هناك ؟

رفعت :

الغرض ليس استمتاعى بالحياة .. لقد أرسلتني الدولة إلى هناك على نفقتها كي أعترف ما أستطيع من علم وأعود به .. أعود به إلى (حميدة) و (باتعة) وعم (شعان) وعم (بسيونى) العجوز الذى يعمل فى الحقل ، ويشعر أنه شاحب وأنفاسه منقطعة وأنه لم يعد على ما يرام .. هذا هو فهمى للأمور .. للنفقة أكثر : فإذ هبت هناك لأدرس على نفقة عم (بسيونى) وأمثاله . لو كان الغرض هو إمتاعى لكنت هناك الآن متزوجاً من ابنة البروفسور ، ولكنت أتى فى إجازة الصيف كل خمسة أعوام مع ابنى (جيمى) و (سيرة) ، لأحدثهما عن الأهرام وعظمة الفراعنة بينما هما غير مكترئين ..

شريف :

أنت اخترت مصر إذن ..

رفعت :

بعبارة أدق : اخترت ما أحبه فى مصر .. هناك أشياء عديدة لا أحبها لكنى أحاول أن أنساها .. مع أول انقطاع للتيار الكهربى أو المياه ، أو أول مشاجرة مع موظف فى السجل المدنى ، ومع أول طوبخة أتقأها فى جيبى وأنا أقود سيارتى على الطريق السريع ، ومع أول برنامج تلفزيونى أبله ، أقول لنفسى : لماذا

عدت ؟ .. لكنى أتذكر عم (بسيونى) العجوز الطيب الذى يشرب الشاي الأسود بالنعناع فى الحقل ليلاً ، فأهدأ ..

شريف :

هذا جميل .. لكننا ما زلنا فى انتظار أول مكالمة ..

رفعت :

لماذا ؟ أنا مستمتع جداً .. أتكلم فى الموضوع الوحيد الذى يروق لى فعلاً وهو أنا . للمرة الأولى أتمنى أن تتأخر هذه المكالمة . ككل إنسان أتمنى أن تصدر جريدة مخصصة للكلام عن أرائى فى الحياة ، وعلى صفحاتها الأولى أخبار عن استيقاظى من النوم وخروجى من الحمام . إلخ .. أنا متدهش لماذا يضيع الناس وقتهم فى الكلام عن المال والفلسفة والسياسة ولا يكرسون حياتهم للكلام عنى أنا ..

(رنين الهاتف)

شريف :

للأسف يبدو أننا سنتكلم فى أمور مملة لا تهكم من جديد ..

رفعت :

هذا مؤسف ..

شريف :

ألو .. برنامج (بعد منتصف الليل) .. تفضل ..

صوت امرأة :

صباح الخير ..

شريف :

هل لنا أن نتعرف بك ؟

المرأة :

لننظاھر بأن اسمى (فائز) .. ربما تقولون كلامًا محفوظًا
تبرهنون به على أنني محطنة ، لكنى أعرف ما أتكلم عنه .. هذا
هو خطأ الرجال الدائم عندما يرون امرأة رقيقة هشة مثلى
فيفترضون أن عقلها كذلك رقيق هس ..

رفعت :

نعم .. لكن تذكرى من فضلك أن الهستيريا داء أنثوى لأن
(هوستيرا Hysteria) باليونانية معناها (الرحم) ..

المرأة :

توقعت هذا لكن صدقونى بالله عليكم .. لقد توفى زوجى
(محمود) منذ ثلاثة أشهر ..

رفعت :

تعزينا الحزى ..

المرأة :

ربما أبدو قسوة ، لكن (محمود) - رحمه الله - لم يكن أفضل
ولا أرق زوج فى العالم .. كان يعرف كيف يجعلنى تسة .. كان
يعرف كيف يجعلنى أبكى وحدى فى الفراش .. والنفاق كل النفاق
أن أزعج أن وفاته لم تطلق سراهى .. منذ طفولتى كانوا يعتبروننى
نسمة تكرت فى شكل إنسان ، وكان أبى يتساعل كيف استطاع القول
والطعمية أن يصنعا تحفة فنية مثلى بينما لا يصنعان لدى الناس
الأخرين إلا كروشا متدلّية وغازات بطن .. لم أكن أقرأ إلا الشعر
ولا أنسج إلا الكاتافاء .. لم أكن أنام إلا على وسادة محلاة
بالدانتيل .. كنت حلمًا ..

رفعت :

سوف نفترض أن هذا صحيح ، برغم أن تجربتى مع النساء
تخبرنى أنهن جميعًا يحملن هذا الانطباع الذاتى عن أنفسهن ..
(صورة الذات Self image) عندهن قد تعوزها الدقة ..

المرأة :

صدق أو لا تصدق فهذا شأنك .. على كل حال كبرت وصرت مطمع العرسان فى المنطقة ، وجاء زوجى (محمود) الذى قرر لسبب ما أن عليه أن يكافئنى على رفقى بأن يجعلنى زوجته .. وتحولت حياتى إلى جحيم .. إنه لفظ .. بخيل كالبراغيث .. لم يحب فى حياته سوى اللعب فى أصابع قدميه ومشاهدة مباريات كرة القدم وقد كان أهلاًوياً بعنف . فإذا تناول العشاء تجشأ ونام .. دعك طبعاً من البصق على السيراميك فهذه هواية محببة له ..

على كل حال هو قد توفى ولن يستطيع أن يجلس هنا معنا ليدفع هذه الاتهامات عن نفسه .. لبست الأسود الذى ناسب لون بشرتى بشدة فصرت أكثر بياضاً .. أنا لست قاسية . ما أريد قوله هو أنه كان يملك قطاً .. تزوجته وهذا القط معه وقد جاء به لبيتنا ضمن جهازه ..

رفعت :

آه !.. لا يمكن أن توجد قصة رعب من دون قط .. هذا شيء مقدس فيما يبدو .. كنت أنتظر لحظة ظهوره .. القطط عنصر جوهري فى قصص الرعب كلها ، فلا عجب أن صنع (إيجار آلان بو) شهرته من قصة القط الأسود . لكن ألا ترين غريباً أن

يهتم رجل هذه صفاته بالقطط ؟ .. العناية بالحيوانات تشى بقدر من الإنسانية لا بأس به ، والاستثناء الذى يحضرنى الآن هو (إميلى بروننى) مؤلفة (مرتفعات وذرنج) القصة الحساسة الأنيمة .. كان لديها كلب عملاق مرعب تربيته كى تخرج فيه توترها العصبى واضطراب روحها .. كانت تسدد اللكمات لأنفه حتى يسيل منه الدم !

المرأة :

هذا قياس خاطئ . أعتقد أن الكثير من الناس يربون الحيوانات كمصدر لإخراج ساديتهم المريضة بمن فيهم مؤلفتك هذه .. نعم أنا لا أعرف كيف أحب زوجى قطاً لكن هذه هى الحقيقة ، ولعل الطيور على أشكالها تقع .. فالقط كان يناسبه بالفعل .. قط سيامى قبيح جداً على وجهه نظرة شهوانية مزعجة وله عينان ثابتتان وقحتان ..

مات زوجى فقررت أن أحتفظ بالقط على سبيل الذكرى .. لكن هذا الوغد لم يترك لى فرصة كى أحبه .. كان يجول بين الغرف فى توتر مجنون .. ثمة نوع من النمر رأيت فى حديقة الحيوان لا يكف عن الدوران حول نفسه فى القفص وقد تذكرت هذا المشهد على الفور ..

بدأ يموء وفي البداية لم أفهم ما يقول ، ثم ميزت أنناى
حروف الكلمة التي لا شك فيها :

« محمودوود ا.. محمودوودوود ا »

كل القطط تقول (داوووود) .. لكن يمكنك بوضوح أن تميز
حرفي الميم والحاء في نداء هذا القط ..

رفعت ا

من الواضح أن هذا خداع سمعى .. على كل حال القطط تصدر
فعلاً حرفي الحاء والميم وأحياناً العين والنون والذال ..

المرأة :

منذ أسبوع فتحت التلفزيون فوجدت مباراة للأهلى . وقبل أن
أغلق الجهاز وجدت القط يثب إلى الأريكة لمشاهدة المباراة في
اهتمام جنونى .. وأصدر عواء مريفاً مع فحيح ثعبانى فى وجهى
عندما كدت أمد يدي لمفتاح الغلق . كل القطط تعرف كيف تصير
مرعبة متى أرادت ..

هناك أشياء غريبة .. القط يحب أن يجلس على الأريكة ويلعق
أصابع قدميه .. لم تكن هذه عادته فيما سبق ..

ومن حين لآخر يردد :

« محمودوود ا.. محمودوودوود ا »

صرت أرتجف كلما رأيته .. وصرت أغلق باب غرفة نومى
على ليلا . لكنه يواصل خدش الباب وهو يكرر هذا النداء الملح
المعذب .

رفعت ا

كل هذا منطقى . القط صار هو المعادل الموضوعى لزوجك ..
مسألة نفسية معروفة ..

المرأة :

لم تنته القصة بعد .. ذات ليلة كنت نائمة والباب موصد ، ثم
صحوت من النوم على شيء يلحق وجهى وشفتى .. فتحت عيني
لأجد هذا المخلوق جاثماً على صدرى .. كيف دخل ؟ .. لابد أنه
وثب على مقبض الباب ففتحه . جريت وراءه بالمكنسة فكان
يتوارى فى مكان ما ، ثم يظهر عندما تكون هناك مباراة للأهلى
أو ليمررق قبلة منى أثناء نومى ..

تكلمت مع أخى (ثروت) فجاء بتلك الحقيبة ، وبصعوبة بالغة
دس القط فيها ، وقد كلفه هذا جروحاً لا حصر لها فى يديه
وساعديه . ثم حملة بسيارته إلى الصحراء وتركه هناك .. بعد

يومين وقفت على باب الشقة أثرثر مع جارة لى عندما فوجئت بقط سيامى أهلاوى يندفع كالبرق من جوار قدمى ليتوارى داخل الشقة .. لقد عاد !!.. كنت أسمع قصصا كهذه لكنى لم أصدقها ..

قمت بتركيب مزلاج لغرفة النوم . لكن كان على أن أتحمّل خدش هذا الشيء للباب طيلة الليل ..

الآن يمكننى تلخيص الموقف : إن روح زوجى الشريرة لم ترد مغادرة البيت بهذه السهولة لذا تقمصت هذا القط لتعيش من خلاله معى .. يصعب تحيل هذا لكن لا أرى الوقائع على ضوء آخر ..

نقدت البواب بعض جنيتها فجاء مع ولده وقد بدا كاهى زيد الهلالى وهو يحمل تلك الشومة وابنه يحمل أخرى .. وقال لى :

- « معذرة يا هاتم . أرجو أن تظفى الباب عليك لأنك لن تتحملى ما سترين .. »

كنت موافقة .. فقط قلت له :

- « لا تحطم أى شيء فى الشقة .. أرجوك .. »

أشار لعينيه بمعنى أنه تحت أمرى . ثم تواريت فى الغرفة وأنا أسمع صراخ الرجل وابنه وعواء القط .. سوف يحطمان رأسه بلا شك .. إن الرفق بالحيوان شيء لا يعرفه هذا الرجل الذى يتسلى بإغراق القطط الوليدة بعد وضعها فى كيس قماشى ..

ضرب .. صراخ .. ضرب .. أشياء تقع .. ثم دق الباب ففتحته لأجد الرجل منهكاً يقول لى :

- « إنه سريع الحركة يا مدام .. أى شيطان هذا ؟ »

ثم انصرف خائب الأمل وإن وعد بأن يحضر بعض السم لإنهاء العملية بالطريقة السهلة ..

سم كيف لم أفكر فى هذا ؟

كان القط يقف الآن فى ركن الصلاة ينظر لى تلك النظرة الوقحة المزعجة ولا يبدو أنه ينوى أن يطرف بجفنيه . لا عجب أن اعتبره الفراغة إلهاً واعتبره المحدثون شيطاناً ..

قلت له :

- « سامحنى يا (محمود) .. لنا أعرف فك تعرف أننى أعرف

أنتك (محمود) ونست القط . من فضلك اترك هذا البيت .. إن

هذا ليس طبيعياً .. إنه يخيفنى .. »

لكنه لم يتحرك .. ظل فى البيت يأكل ويتابع مباريات الأهل ..

ثم جاءت ساعة الصفر .. لقد نمت الليلة مبكراً لكنى صحت

بعد نصف ساعة لأجده يلحق وجهى بذات الطريقة .. لكن الجديد

فى الأمر هو أننى أعرف جيداً أننى أغلقت الباب بالمزلاج . لقد

انتهت المجاملات ولم تعد هناك أفضة . لا مزيد من التظاهر بأنه
قط رقيق .. إنه يعترف بوضوح بأنه كائن شيطاني ..

« محموووود .. محموووووود ! »

اتجهت إلى المطبخ . قمت بسلق سمكة صغيرة له .. ثم قمت
بهرسها .. فتحت زجاجة السم ونظرت خلفي لأتأكد من أنه
لا يراني ، ثم أضفت منه كمية وافرة إلى طعامه . لا أريد أن
يتعذب لكنني كذلك لا أريد أن ينجو . من المحزن لمن كانت في
رفقي أن تقوم بتسميم قط . لكن هذا هو الخيار الوحيد أمامي قبل
أن أنتحر .. هكذا خرجت إلى الصالة مصدرة الكثير من (اللمبسة)
ووضعت الطبق الصغير على باب الشقة ..

هو الان قد أكل .. منذ ساعتين .. ترى كم الوقت يلزمه حتى
يموت ؟ .. ليست لدى خبرة بالموضوع في الحيوانات ..

رفعت :

هذا يعني أنه لم يموت بعد .. القصة ما زالت طازجة ..

المرأة :

نعم .. هل عندك فكرة ؟ .. لماذا يأبى قط أن يموت بالسم ؟

رفعت :

لا أعتقد أنه راسبوتين .. هل السم ما زال صالحا ؟ .. بعض
السموم تتلف بالتخزين ..

المرأة :

لا أعتقد أن هذا هو التفسير ..

رفعت :

هناك سؤال مهم هنا : لماذا تحتفظ امرأة رقيقة مدللة مثلك
بزجاجة سم ؟ .. لماذا تشعرين بهذا التوتر الذي يذكرني بتأنيب
الضمير ؟ .. لماذا قلت : « ليست لدى خبرة بالموضوع في
الحيوانات .. » ؟ .. هل لديك خبرة في غير الحيوانات ؟

المرأة :

(صمت طويل)

رفعت :

هل تنوين الإجابة ؟ .. لا أحد يعرف اسمك ولن يتمكن من
متابعة المكالمة لأن كل تجاربنا السابقة فشلت كما تعرفين . لا بد
أن تستعد مباحث التليفونات مسبقا ..

المرأة !

حسن .. إن اختلاف الجرعات مشكلة .. مثلاً استغرق الأمر ساعة مع (محمود) كي يموت بهذا السم الذى دسسته له فى الكفتة ، فهل تعتقد أن قط (محمود) يمكن أن يستغرق الفترة ذاتها !!؟

رفعت !

الإجابة هى : لا أعرف .. ما لم يكن القط غير طبيعى فعلاً ..

(المرأة تضع السماعة على الفور)

شريف !

نقد قطعت المكالمة ..

رفعت !

بالطبع .. بدأ الأمر كشك ثم بدأ يتراكم حتى صار يقينا .. على كل حال أعتقد أن القط لن يموت بسهولة .. القط الذى يأكل كمية وافرة من السم ويظل حياً ساعتين هو قط غير طبيعى .. بالتأكيد ليس طبيعياً !

الحلقة العاشرة

فى غرفة نومي

تحكيها (هانم الخلفاوى)

الرعب المقترون بخزانة الثياب شهير جداً لدى أية حضارة لديها خزانة ثياب .. إنها تمثل باباً خلفه عالم مظلم مبهم ، ويقود إلى قلعتنا الخاصة التى نشعر فيها بالأمن : غرفة نومنا . لاحظ أنك مستنم وتصير هشاً معدوم الحيلة ، فعلاً عساه يخرج من تلك الخزانة ؟

شريف :

هذه حلقة أخرى من (بعد منتصف الليل) . د. رفعت إسماعيل
هنا وهو متأهب ومتشوق للرد على مكالماتكم ..

رفعت :

متأهب لكن غير متشوق لو شئت الدقة .. لا يمكن أن تصف
المحكوم عليه بالإعدام الذى ينتظر أن تتفتح (الطليقة) تحت
قدميه بأنه متشوق .. هو فقط متأهب جداً ..

شريف :

سمعنا فى الحلقة السابقة قصة الطالبة التى تنتظر لها خزنة
الثياب كلما أدارت ظهرها . تقول إن هذا الشعور قوى لدرجة
أنها لم تعد تبذل ثيابها فى غرفة النوم .. هل تعتقد أن هذا ضرب
من الهستيريا ؟

رفعت :

الهستيريا تفوح من كل حرف فى هذا الكلام .. قلت لها هذا فى
الحلقة السابقة .. على كل حال ، الرعب المقترن بخزنة ثياب شهير
جداً لدى أية حضارة لديها خزنة ثياب .. إنها تمثل باباً خلفه
عالم مظلم مبهم ، ويقود إلى قلعتنا الخاصة التى نشعر فيها بالأمن :
غرفة نومنا . لاحظ أنك ستنام وتصير هشاً معدوم الحيلة ،

فماذا عصاه يخرج من تلك الخزنة ؟ الأطفال فى الغرب يتحدثون
عن رجل الخزنة ويعرفونه جيداً .. على كل حال الشعور
بالمراقبة أمر جوهري فى العصاب ..

شريف :

على كل حال نحن بانتظار المكالمة الأولى ، وكلنا أمل فى أن
تكون شائقة .. ربما نستمع لأغنية فى هذا الوقت ..

(رنين الهاتف)

شريف :

أو ربما لا ..

صوت امرأة :

مساء الخير .. أنا (هتم للخفاوى) .. ربة بيت ..

شريف :

مرحباً بك ..

هانم :

سمعت برنامجكم .. الحلقة السابقة .. أنا مقيمة فى (الجزيرة) .
والغريب أن المشكلة واحدة ..

شريف :

هلا أوضحت من فضلك ؟

هانم :

كنت قد فتحت خزانة الثياب لوضع الثياب الشتوية .. أنت تعرف أن أية ربة بيت تنهى موسم الشتاء بفصل الثياب الشتوية وطبها ، ثم تفتح خزانة الثياب لوضعها بعد أن تدس بين طبقتها حبيبات (النفثالين) منعاً للعث ..

رفعت :

للأسف لم أجرب هذا لأننى كنت بلا أسرة تقريباً ..

هانم :

ألا تفعل المدام الشيء ذاته ؟

رفعت :

ليست لى مدام .. لا أرى هل هذا خبر محزن أم مفرح ، لكنها للحقيقة .. بعض الرجال يعتبروننى عبقريةً والنساء يعتبرننى مجنوناً أو مريضاً .. هذا موضوع يطول شرحه .. المهم أن هذه من طقوس البيت المصرى .. هل لديك أبناء ؟

هانم :

نعم .. لدى (مروة) فى الصف الثانى الثانوى ، و (ريهام) فى الإعدادية ، و (سامى) فى الصف الخامس الابتدائى .. زوجى موظف ..

شريف :

جميل .. لكن دعينا نواصل لو سمحت ..

هانم :

إن خزانة الثياب من طراز عتيق .. ضخمة جداً .. بها قسم علوى يصلح لوضع حقائب السفر والبطاطين والثياب التى لا تناسب الموسم ، وقسم سفلى للثياب المستعملة . كنت أقف على أطراف أصابعى فوق الفراش وأنا أضع هذه الثياب .. ثم ..

رفعت :

بيدو وضعا عسيراً .. على كل حال أكملنى قصتك ..

هانم :

كما قلت لك رحت أضع الثياب فى الركن العلوى .. هنا خيل لى أن شيئاً يتحرك هناك . معنى هذا شيء واحد كما تعلم : فأر .

وأنا لست من الطراز الهستيرى الذى يعلأ للشارع صراخاً لدى رؤية فار . أنا ربة بيت (جدعة) لذا أحضرت المكسمة ورحلت أفتش بها هناك .. لا شيء .. هذا مؤكد ..

أنهيت مهمتى وتاهيت للتصراف .. لكن تلك الشعور ظل يضايقتنى .. هناك من ينظر لى عبر باب خزانة الثياب .. هناك من يراقبنى ..

جريت عدة مرات أن أنظر إلى الخلف فجأة ، لكنى كنت دائماً أرى الباب موصداً كما تركته .. شعرت بأننى مخبولة لا أكثر ..

كنت وحدى فى الدار فى ذلك اليوم ؛ لذا ذهبت إلى المطبخ أعد الطعام لكتيبة الجياع التى ستصل بعد قليل ..

عدت إلى غرفة النوم فوجدت أن باب خزانة الثياب موارب ! .. أنا أعرف يقيناً أننى أغلقته ..

رفعت :

فمت طبقاً بحملة تفتيش أخرى ..

هانم :

نعم .. فتحت الخزانة وبحثت فى كل ركن .. لا شيء .. أغلقت الخزانة بإحكام وواصلت عملى فى البيت ، لكنى عندما عدت إلى غرفة النوم وجدت الباب موارباً ..

رفعت :

لكن هذا لا يدل على شيء .. أبواب خزانات الثياب تنفتح لأسباب عدة .. النجارون ليسوا عباقرة أو معصومين ..

هانم :

على كل حال هناك مرآة تجميل فى الناحية الأخرى من الغرفة .. جلست أمامها متظاهرة بأننى أمشط شعرى ، بينما عينى لا تفارق خلفية المشهد التى تظهر خزانة الثياب بوضوح تام ..

ماذا تتوقع ؟ .. رأيت الباب ينفتح ببطء .. فى البداية انفتح القسم العلوى ، ثم بدأ القسم السفلى ينفتح ..

التفت إلى الخلف بسرعة وبحركة درامية ، فانطلق البابان كأن شيئاً لم يكن ..

لو أردت الدقة لقلت إننى شعرت بأن هناك عينين تتوهجان فى ظلام الخزانة ، لكنى بالطبع لا أستطيع أن أؤكد ذلك ..

رفعت :

ولم تخبرى زوجك طبقاً ..

هانم :

ماذا أقول ؟ .. إن تهمة الجنون تلاحق للنساء أينما ذهبن ..
لنا فتحت الخزائن وعرفت أنها خالية .. ماذا يمكن أن أضيفه
لو اعتبرنى زوجى مجنونة ؟ .. لا شيء .. لقد ابتلعت ما رأيت
ابتلاغا وكتمته .. فقط جلست فى الغرفة طويلاً أقرأ للقرآن ..
كنت أعرف يقيناً أن الأمر لا يتعلق بمفصلات تالفة أو وضع مائل
للخزائن .. هذا لم يحدث من قبل طيلة سنى زواجى ، فلماذا
يحدث الآن ؟

رفعت :

لا بد من بداية لكل شيء .. لكن يبدو أن الأمر لم يتكرر ؟

هانم :

عم تتحدث ؟ .. عندما جاء الليل رقد زوجى وغاب فى نوم
عميق .. إنه دائماً مرهق شقيان كأتنى أقضى يومى فى اللعب
مع القطط الصغيرة .. تعالى شخيرى ومع الشخير شعرت بذلك
الشعور الممض بأننا لسنا وحدنا .. كانت خزائن الثياب تقع إلى
ناحيته من الفراش والمرأة إلى ناحيتى .. للظلام يعم الحجرة
لكن هناك قبمنا خلفنا من الصلاة .. مصباح واهن كالعادة ..

رفعت :

تلك (المسهرية) اللعينة .. المصباح الخافت الذى يصر الناس على
إبقائه فى الصلاة ويجعل الدماء تجف فى عروقك .. أنا أعتقد أن
الظلام المطلق المسطح أكثر بعثاً على الاطمئنان ..

هانم :

فى هذا الضوء الخافت الأصفر كنت أرى انعكاس خزائن الثياب
فى المرأة وأنا راكدة على جنبى مفتوحة العينين وظهرو زوجى ..
بين النوم واليقظة رأيت الباب يفتح فى ببطء ..

هكذا وثبت جللسة ونظرت إلى خزائن الثياب خلف ظهر زوجى
النائم فرأيتها مقلقة ..

رفعت :

هذا أسلوب روايات الرعب اللبريطانى .. الرعب خارج مجال
الرواية .. الرعب الذى لا يحدث أمامك بشكل واضح أبداً ..

هانم :

لهذا أعتقد فى كل لحظة أنك تخرف .. على كل حال عدت إلى
النوم على جانبي وأنا أنظر إلى المرأة فى ثبات .. لو كان هناك
شيء فسوف أظل ساكنة حتى أراه .. فى الضوء الخافت الذى

لا يظهر شيئاً تقريباً بدا لي أنني أرى فتاة تخرج من الخزانة .. فتاة مبدرة في الظلام .. تنظر لزوجي ولى .. تقف جوار الفراش للحظات ، ثم تتراجع بظهرها لتغيب في الخزانة من جديد ..

كان قلبي يوشك على أن يثب من فمي ، لكنك بالتأكيد لاحظت أنني قوية الأعصاب ؛ لذا فقد أضأت الغرفة فتعلم زوجي ومضغ شيئاً ما .. ركضت إلى خزانة الثياب وفتحتها .. لم أجد شيئاً سوى الثياب المعلقة بإياها .. أرحتها جانباً ورحلت لفتش .. لا .. لم يكن هناك ظهر متحرك للخزانة ولا باب سرى .

وكان تقديري للموقف أنني جننت أو أن هناك (بسم الله الرحمن الرحيم) ..

رفعت :

بطبيعة الحال ملت للرأى الثانى ..

هائم :

بالطبع .. يحتاج المرء إلى جهد كبير حتى يشك فى قواه العقلية ، وقد احتفظت بصمتى على كل حال ، إلى أن حدث بعد ثلاثة أيام أننى ظللت أعمل بعد ما نام الجميع .. كان زوجي قد أحضر طناً من السمك البلطى الذى لا يمكن حفظه فى الثلاجة من دون تنظيف .. انتهيت من عملى فى الثانية بعد منتصف الليل ..

دخلت غرفة النوم لأنام عندما وجدت الخزانة مفتوحة .. لم أوقد النور ومشيت نحوها حثيثاً ..

رفعت قلبي وخطوت إلى الداخل .. وقفت بين الثياب المعلقة .. هنا أدركت لشدة ذعري أنه لا يوجد ظهر للخزانة .. يمكننى أن أدخل بلا نهاية ..

تقدمت وأنا أحرص طريقى إلى الداخل مدركة مدى غرابة وسخف موقفى .. لكن العالم الذى عبرت إليه كان مظلماً تماماً .. لا أرى أى شيء . فقط تعثرت فى شيء طرى على الأرض فأوشكت على السقوط .. إنه جسد .. صرخت .. هنا سمعت صرخة مماثلة عالية وانغرست مخالب فى وجهى ..

لا أعرف كيف تمكنت من العودة إلى داخل خزانة الثياب وخرجت منها متلاحقة الأنفاس ..

ما رأيك يا د . رفعت ؟ . أنا لن أستطيع المبيت فى الشقة يوماً واحداً بعد اليوم ..

شريف :

نفس قصة الأسبوع السابق تقريباً .. هل نحن نعانى وباء خزانات الثياب المفتوحة ؟

رفعت :

القصة السابقة كانت من الجيزة كذلك .. أليس كذلك ؟

شريف :

بلى .. وما معنى هذا ؟

رفعت :

قبل أن تكملنى .. هل أنت واثقة من أن (مروة) ابنتك ليست
هى الطالبة التى اتصلت بنا الأسبوع الماضى ؟

هانم :

نعم ؟ .. فتاة الأسبوع الماضى كان اسمها (غادة) ..

رفعت :

الأسماء لا تدل على شيء .. كل من اتصل بنا كان له اسم
مستعار .. أتكلم عن الصوت ..

هانم :

بينى وبينك .. لا أعتقد .. ربما لو سألتها . أنا كنت جوار
المذياع ولم تكن أمامى وقتها .. ربما كانت فى غرفة الجلوس
تتصل بكم ؟ .. من الوارد أن تغير نبرات صوتها ..

رفعت :

تلك الفتاة كانت تشكو من شعورها بأن الخزانة تراقبها .. فى
ذات ليلة شعرت بأن هناك بلنا مفتوحا عبرت منه إلى عالم مظلم ..
فجأة شعرت بأن شبح امرأة يوشك على الانقضاض عليها ففرت ..
فى مرة أخرى فوجئت بامرأة تخرج من خزانة الثياب وتصرخ ..
فصرخت بدورها وغرست أظفارها فى وجهها ..

هل لى أن أعرف إن كانت ابنتك اعتادت النوم على الأرض ؟

هانم :

نعم .. لفراش مخصص لـ (ريهام) و (سلمى) .. (مروة) تفضل
النوم على الأرض ، إلى أن تنتهى من تخصيص غرفة لـ (سلمى) ..

رفعت :

وخزانة الثياب فى غرفة الأطفال تستند على نفس الجدار ..

هانم :

لا .. هناك خزانة لكنها لا تستند إلى الجدار ذاته ..

رفعت :

يمكن القول بسهولة إنك كنت فى الظلام .. لم تعرفى أن هذه
غرفة لبنائك .. وأن من خطوت فوقها على الأرض هى (مروة) ..
(مروة) بدورها تعانى رعبا هائلا من خزانة الثياب .. لا تعرف
أن المرأة التى خرجت من خزانة ثيابها فى الظلام هى أمها ..

شريف :

رفعت .. هي أنكرت أن يكون الجدار مفتوحاً في ظهر خزانة الثياب ..

رفعت :

من تحدث عن فتحة ؟ .. الأمر يتعلق بفجوة مكانية تتحدى القوانين الفيزيائية .. خزانة الثياب هي بوابة هذه الفجوة .. والفجوة تنقلك من خزانة الأم إلى خزانة الأبناء .. مروءة كتبت تشعر أن الخزانة تراقبها .. نفس الشيء مع الأم ..

شريف :

كلام صعب للتصديق .. وما سبب هذه الظاهرة لو صح كلامك ؟

رفعت :

شيء أضيف إلى خزانة الثياب مؤخراً .. شيء استجد .. هل أنت واثقة من أن الثياب الشتوية لم تكن تحتوى تعويذة ما ؟

هانم :

بالطبع لا .. لكن انتظر .. من السهل أن نتأكد من نظريتك .. إن مروءة لم تنم بعد .. مروءة .. هل اتصلت ببرنامج إذاعي الأسبوع الماضي ؟ .. خذى السماعة وكلمى عمك د. رفعت ..

مروءة :

آلو ؟ .. من ؟

رفعت :

برنامج (بعد منتصف الليل) يا مروءة لو كان هذا اسمك الحقيقي .. هل كنت أنت ضيفة الحلقة السابقة ؟

مروءة :

لا أفهم شيئاً .. لم أعرف أن هناك برنامجاً بهذا الاسم ، وبالتأكيد لم اتصل .. هل لى أن أفهم ؟

شريف :

شكراً يا مروءة .. سوف تفسر لك الوالدة كل شيء . أرجو أن تعطيتها السماعة ..

مروءة :

إنها ليست هنا .. لقد هرعت ممرعة إلى غرفة النوم ، كأنها سمعت صوتاً ما من هناك .. سوف أناديها لك ..

شريف :

هكذا تتفق نظرية الفجوة هذه .. بينى وبينك هي نظرية غريبة ..

رفعت :

ما زلت أعتقد أنها فجوة تقود إلى مكان ما .. ربما عالم ما ..
فقط هي لا تقود لغرفة نوم الأولاد ..

شريف :

ولماذا انفتحت ؟

رفعت :

من خبرتي مع (جانب النجوم) أعرف أن هناك فجوات تظل
مغلقة إلى أن يقرر شيطان ما أن يوسعها ويخترقها إلى عالمنا ..
لا أعني أنها فجوة تقود لجانب النجوم ، لكنها شيء شبيه ..

شريف :

والأدهى أن تكون هناك أكثر من فجوة في الجيزة بالذات ..
إن كلام الطالبة في الحلقة السابقة لا يفرق مخيلتي ..

مروة :

د. رفعت !.. أمي ليست في غرفة النوم .. ليست في البيت
كله !.. فقط خزائن الثياب مفتوحة وبداخلها أحد خفيها !.. لم أجد
الخف الآخر .. ما معنى هذا الذي يحدث ؟.. بقله عليك قل لي !..
د. رفعت .. لماذا لا تتكلم !!!!!

* * *

الحلقة الحادية عشرة

أكوارיום

يحكيها (سامح)

فقط حوض الأسماك المضيء كالعادة والأسماك تنظر لي
في حيرة .. لقد رأيت كل شيء .. تعرف كل شيء لكنها
لا تعرف كيف تشرح لي ..

شريف :

هذا برنامجكم (بعد منتصف الليل) .. اليوم نحتفل بالحلقة الخمسين من البرنامج .. خمسون حلقة قدمنا فيها عشرات القصص المرعبة .. فبعض الحلقات كان يضم مكالمتين أو ثلاثة ..

رفعت :

وبعض الحلقات لم يحدث فيه شيء على الإطلاق .. فقط مكالمات خاطئة ومعاكسات .

شريف :

على الأقل هذا يدل على الأصالة .. لو كان البرنامج مرتباً من قبل لكان في دقة الساعة .. على كل حال نحن في انتظار أول مكالمة للحلقة الخمسين ، وقصتك ستكون هي وقود آلة الرعب حتى لا نتوقف أبداً ..

(رنين الهاتف)

شريف :

آلو .. برنامج بعد منتصف الليل ..

صوت طفل :

أنا (سامح) ..

شريف :

يبدو أن هذا واحد من الصغار الذين لا ينامون ويشكوننا بلاقطاع لأننا مرعبون .. هل معك واحد كبير يا صغيري العزيز ؟

سامح :

لا .. كلهم ناموا ..

رفعت :

في العادة عندما يتصل طفل ، يكون السبب نافهاً إلى درجة أن تصاب بنزف مخي ، أو مرعباً إلى درجة تجعل قلبك يتوقف !

شريف :

هذا صحيح فعلاً .. لم ننتق مكالمات من طفل إلا وتندرج تحت واحدة من هاتين القائمتين . ذروة التفاهة أو ذروة الرعب .. ربما هناك قائمة ثالثة هي قائمة الكذب .. الأطفال يحبون الكذب جداً وكذبهم مقنع دائماً لأنه يأتي من حيث لا نتوقعه .. كم سنك يا صغيري ؟

أنا في التاسعة ..

شريف :

جميل .. جميل .. الصف الثالث الابتدائي ما لم يكن متخلفاً عقلياً .. هل تعرف ما هو هذا البرنامج يا سامح ؟

سامح :

نعم .. لا تعاملني كطفل من فضلك .. أكره طريقة (برافو) (هل أنت مجد في المدرسة ؟) هذه .. هذا البرنامج يناقش القضايا المخيفة بالمشاركة مع د. (رفعت إسماعيل) .. أنا أعرف ما أفعله .. صدقتي .. تأكد من أنك لن تلقى طفلاً في ذكائى وثبات أعصابى مهما حاولت ..

شريف :

هذا واضح .. آسف يا عم سامح .. قل لى ما بضايقتك ..

سامح :

لقد نجحت فى الامتحان وكانت أمنيتهى حوض أسماك زينة .. صحيح أن عندى كلنا لكنه لم يعد يسلينى .. وعذنى أبى بالحوض وابتعته معه منذ ثلاثة أيام .. حوض كبير جميل به عدة أسماك رائعة .. الفساتيل ومسمكة السيف والمولى ومسمكة القط .. كان هناك مقاتل سيامى لكنه مات فى نفس اليوم ..

شريف :

هذا محزن ..

سامح :

صرت أقضى أكثر وقتى أمام هذا الحوض .. أنا أكلملك وهو لى الآن .. أحب هذه الإضاءة الخافتة عندما تكون الغرفة مظلمة .. ألون السمك جميلة فعلاً ..

رفعت :

لكن هذا ليس مرعباً على قدر علمى ..

سامح :

أنى تكره السمك وتقول إنه كائن مقزز .. تقول إن للحوض رائحة كريهة فسدت جو البيت ..

رفعت :

كل الأمهات لهن رأى سلبى فى أى شىء يحبه الأطفال .. الشكولاته تتلف أسننك .. القبل بالماء يسبب لك الالتهاب القروى .. لعب الكرة يتلف الثياب .. القطط الصغيرة تجلب الأمراض .. باختصار : كل ما يحبه الأطفال مؤذ كره .. والعكس صحيح طبقاً ..

شريف :

فعلاً .. أعقد أنها رغبة خفية فى التدخل فى كل شىء .. لا تقبل الأم أن يمارس الطفل حياة هى ليست فيها ..

رفعت :

مع الرغبة في الشعور بالأهمية .. تلك الشعور اللذيذ بأن الحياة ستفسد والشهيد ستهوى لتحرق المدن الآمنة لو لم تكن موجودين .. عرفت مديرين يتغيرون عن العمل لبضعة أيام ، ثم يستشيطنون غيظاً عندما يكتشفون أن كل شيء كان يسير بدقة الساعة في غيابهم .. هذا يثير جنونهم ..

شريف :

نعم .. لا يرضيهم إلا أن يعودوا ليجدوا أن الخراب عم كل شيء ..

رفعت :

كذلك الآباء .. معظم الأمهات يشعرن بضيق خفي لو سافرن و عدن فوجدن أن أبناءهن بخير . هن لا يقلن هذا صراحة ، لكنك ترى لمسة خيبة أمل على وجوههن كان ..

سامح :

هل الحلقة مخصصة لسماع كلامكما ؟ .. إن لمأذا تكلفان الناس مالا وجهذا ؟

رفعت :

هذا صحيح .. معك حق .. كنا نتكلم عن حوض السمك ..

سامح :

نعم .. نعم .. حوض السمك الذي أقف أمامه الآن .. يوم ابتغاه نام الجميع ، لكنني نهضت من غرفة نومي ليلاً لأقف أمامه في الظلام . مع الوقت شعرت بأنني داخله فعلاً ، وشرعت أسبح مع الأسماك وأتاور معها .. هناك قلعة . هناك سفينة قراصنة غارقة ..

رفعت :

كل هذا جميل ..

سامح :

ليس تمامًا .. كانت هناك تلك السمكة من طراز (سمكة القط) التي تعابث الحصى في قاع الحوض .. يبدو أنها تهوى الحفر .. هكذا بدأت طبقات الحصى تنزاح جانباً ورأيت .. رأيت ذلك الإصبع البشري ذا الظفر المسود ..

شريف :

ماذا ؟ .. أنت رأيت إصبعاً ؟

سامح :

نعم .. ليس إصبعاً بل ما يبدو أنها يد كاملة مدفونة تحت طبقات الحصى .. لقد أحضرت شبكة السمك ورحت أحاول كشف

الحصى أكثر .. نعم هي يد مبتورة .. لا شك في هذا .. صحيح أنها منتفخة لتلفها الماء لكن لا شك في طبيعتها .. هناك ختم صدئ حول الإصبع . إنها لامعة ملساء تشعر بأنها لزجة ..

رفعت :

ظاهرة اسمها للتصبن الرمي .. يتحول الجسم إلى ما يشبه الصابونة الزلقة .. هذا يحدث للأجسام التي تغمر تحت مياه باردة ..

شريف :

أنتما مجنونان .. طفل يجد بداً مبتورة في حوض السمك فيصف المشهد بدقة ، وعجوز لا يهتم سوى بالتفسير العلمي للموضوع !

رفعت :

أعتقد أن وقت الصبراخ انتهى وحين وقت الفهم .. أمقت للناس الذين يجدون كفاً في حوض السمك ، فيضيعون الوقت في الهستيريا ..

سامح :

نعم . نعم .. لقد بكيت كثيراً وارتجفت ..

رفعت :

لا ألومك ، لكن لا تقل لي إنك لم تخبر الكبار .. هذا يفوق طبائع الأمور ..

سامح :

قلت لأبي لكنه لم يصدق ، وقد مد شبكة السمك وراح يبحث في الحصى بعض الوقت فلم يجد شيئاً غريباً .. لنا متأكد من أنه بحث في ذات الموضع .. ثم قال لي إنه من الخطأ بعثرة حصى الحوض ، وإن الفرصة قلما بعد أشهر عندما نقوم بتغيير الماء .. أما الآن فلا مجال للهلاوس ..

أمي لم تصدق طبعاً .. نسيت أن أخبرك أنني واسع الخيال وأولف قصصاً كثيرة .. لهذا لم يصدقني أحد ..

شريف :

أرجو ألا تكون هذه القصة من ضمن أعمالك الإبداعية !

سامح :

لا .. لكني لا أستطيع أن أثبت كلامي .. إما أن تصدقني أو لا ..

رفعت :

واضح أنك رأيت هذه الكف مرة أخرى ..

سامح :

نعم .. بعد يوم رأيتها وكانت في موضع مختلف تماماً .. هل تعتقد أنها تعيش ؟

رفعت :

لا .. لا أعتقد .. الشيء الميت يظل كذلك لو أردت رأيي ..
لكن دعنا نرتب أفكارنا .. هل أنت متأكد من أن هذه اليد ليست
ضمن زينة الحوض ؟ .. ربما هي شكل تجريدى عجيب للزينة ،
أو هي شعبة مرجانية غريبة للشكل ..

سامح :

لو لم أعرف شكل اليد البشرية فأنا أبله .

شريف :

إذن .. لو لم تكن كذاباً تتسلى علينا ، فالقصة هي أن من باع
لكم الحصى وهو طبعاً بائع أسماك الزينة وضع هذه اليد دون أن
يدري .. فهل يعرف صاحب اليد ؟

سامح :

إنه مجرد متجر صغير .. يبدو أن صاحبه صديق أبى .. اسمه
(صالح) ولا يبدو من هذا النوع ..

رفعت :

لا أعرف كيف يبدو الذين من هذا النوع ، لكن يحتاج التصبين
الرمى من ثلاثة أسابيع إلى ستة أشهر .. هذه اليد فى الماء منذ

تلك الفترة ، وهذا ينقضى أنها كانت ضمن حصى الحوض .. هذه
اليد كانت مغمورة فى الماء منذ زمن ..

شريف :

والتفسير ؟

رفعت :

لا تفسير عندى الآن .. لكن هذه من مزايا التصبين الرمى ..
كل شيء يظل سليماً يمكن فحصه .. لربما استطاع رجال
الشرطة معرفة الكثير عن صاحب اليد .. كل أصابع الاتهام تشير
إلى صاحب متجر السمك .. هذه اليد كانت عنده مغمورة بالماء
وقد قرر التخلص منها ..

سامح :

المشكلة هي أنني لا أجد اليد أمامى الآن .. لحظة حتى أقلب
الحصى أكثر .. أقلب .. أقلب .. لقد صار الحوض كأن عاصفة
رملية هبت عليه .. لكن .. بالفعل لا أجدها ..

رفعت :

ابحث فى القلعة أو السفينة للغارقة .. أنت تعرف أن قاع تلك
الأحواض ، يكون مزيجاً ..

سامح !

لا .. نحن لا نفتش عن حصوة .. لا يوجد شيء ..

رفعت !

هذا جميل .. على الأقل أنت تخلصت من المشكلة .. لا اعتقد
أن الأطفال يصابون بهستيريا لكنك طفل غير عادي ..

شريف :

هل عندك خبرة بشيء مشابه ؟

رفعت :

لم أجرب كثيرًا التعامل مع الأيدي المبتورة ، فقط لى قصة
واحدة منذ عامين مع يد قاتل معسوس اسمه (بيزارو) .. كان
هذا المجنون إيطاليًا مولعا بخلق الناس ، ويبدو أنه كان مصابا
بلعنة من لعنات القرون الوسطى تلك . وخلال صراع بيننا بترت
يده اليمنى وألقيتها فى النهر . وكانت النتيجة هى أن للرجل عاد
بشريًا ولم يخف امتنانه لى من أجل تحرير إرادته ، بينما اليد
جاءت فى حقائبى إلى مصر وراحت تطاردنى مثبتة أن لها إرادة
خاصة بها .. كانت تنوى الانتقام منى فى يوم الثلاثاء ، وهو يمثل
اليوم الذى وقعت فيه الواقعة .. وكنت تعرف عنوان البيت .. يا لها
من تكريرات جميلة !

شريف :

قصة مفزعة .. وكيف تخلصت منها ؟

رفعت :

شيء يشبه ما يقومون به للتخلص من القطة .. أغريتها بدخول
صندوقى ، ثم قمت بإلقائها فى مياه البحر فى الإسكندرية ..

شريف :

هل تعرف ما أفكر فيه ؟ ..

رفعت :

نعم .. تفكر فى لئنى أكذب ..

شريف :

لا .. أفكر فى إمكانية أن تكون هذه اليد تحررت .. عاشت
فى قاع البحر أو على الشاطئ ، ومضت تزحف بين الرمال ..
وجدت طريقها إلى صندوق رجل يجمع المحار والقواقع من على
الشاطئ من أجل أحواض سمك الزينة .. فى المتجر تمكنت من
دخول هذا الحوض بينما صاحبه يعدده للمشتري الجديد .
المشتري الذى هو أبو (سامح) .. توارت هناك بين طبقات
الحصى تنتظر ..

رفعت !

فكرة رهبة لكنها صيرة للتصديق ..

شريف :

هذا هو الحل الوحيد .. لا أتصور أن يقوم رجل بإعداد حوض سمك من دون أن يلاحظ بدأ وسط الحصص .. كما قال (سامح) : اليد ليست حصوة . لا يمكن ألا تراها . أعتقد أنه سيكون غريباً أن توجد يدان حيتان في مصر في الوقت ذاته .. نحن نتكلم عن ذات اليد غالباً ..

سامح :

د. رفعت ! . لقد وجدتها ! .. إنها في ركن الحوض عند طرفه العلوي .. تحاول التسلق والخروج لكن الزجاج زلق لهذا تسقط في كل مرة ..

رفعت :

سوف تتمكن من الخروج .. لو كانت هي يد (بيزارو) فعلاً فسوف تتمكن من الخروج .. (سامح) .. لا أجد حلاً سوى أن تخبر أباك بكل شيء .. تضعان هذه اليد في صندوق محكم وتتخلصان منها في مكان جاف يستحيل أن تجد البئيل فيه . من

الواضح أنها تتنفس كلما وجدت الماء .. لم أكن أعرف هذا عندما ألقيتها في النهر ، ولا عندما تخلصت منها في البحر . الآن يبدو الحل منطقياً واضحاً . خذ الحذر ! .. إنها أقوى مما تظن ، وهي قادرة على خنقك أو تمزيق وجهك في أية لحظة .. إنها تثب كالصناكب !

سامح :

لا وقت لهذا .. لقد خرجت فعلاً ! .. أزاحت الغطاء واتسلت من تحته .. مبللة يسيل منها الماء وتزحف على المنضدة ! .. د. رفعت ! .. ماذا أعمل ؟

رفعت :

اجر ! . أغلق عليها الحجرة واجر بسرعة ! ..

سامح :

إن سلك ال .. سلك الهاتف طويل .. سوف ..

(صوت نباح) :

إن كلبى (روى) قد شعر بها . إنه شرس جداً وها هو ذا يهاجمها .. إنه في حالة غير طبيعية .. يبدو أنها أثارته ..

رفعت :

لا بأس .. قد يكون هذا هو الحل .. لكن لا تنتظر .. اخرج
وكلمنى من غرفة أخرى !

(صوت نباح يستمر ثم ينقطع)

سامح :

لقد أغلقت الباب .. لحسن الحظ أن أحداً فى الشقة لم يسمع
كل هذا الصخب .. نومهم ثقيل جداً وباب الغرفة مغلق .. لقد
توقف النباح .. أعتقد أنه مزقها إرباً ..

شريف :

لا بأس بإلقاء نظرة لكن كن حذراً .. لتر إن كان (بوى) هذا قد ..

رفعت :

روى .. اسمه (روى) .. لا يوجد كلب ذكر إلا واسمه (روى) ،
ولا توجد كلبة إلا واسمها (توسكا) .. هذا هو القاتون ..

شريف :

هلم !.. انظر ماذا حدث ..

سامح :

المكان هادئ و ... ولكن .. أين (روى) ؟ .. د. رفعت !..
فيه رائد فى ركن الغرفة المظلم !.. لقد تحطم عنقه !.. لقد ملت !

رفعت :

ماذا ؟.. وأين اليد ؟

سامح (يبكى بكاء طفل صغير) :

لا أثر لها !.. لا أثر لها يا د. رفعت .. فقط حوض الأسماك
للمضىء كالعادة والأسماك تنتظر لى فى حيرة .. لقد رأت كل
شئ .. تعرف كل شئ لكنها لا تعرف كيف تشرح لى .. هه ؟..
لقد انقلب باب الغرفة على !!.. من أغلقه ؟.. د. رفعت .. أنا
خائف .. خائف !

الحلقة الثانية عشرة

زناانة خريولسن

بمكيتها (نيازي إبراهيم)

كلامي اليوم عن باب .. هذا الباب الذي أتحدث عنه لم يكن في مصر .. لم يكن في مكان تعرفه .. الباب الذي أتحدث عنه لم يكن باباً خشبياً أو حديدياً ، بل كان أقرب إلى جدار سميك يهدم ولا يفتح .. لكن الناس هناك كانوا يسمونه باباً ..

شريف :

صباح الخير .. كما تعرفون هذا برنامجكم (بعد منتصف الليل) . نحن بانتظار مكالماتكم التي تحكى لنا عن خبراتكم المروعة ..

رفعت :

إن مكالماتكم هي وقود آلة الرعب التي نريد لها ألا تتوقف أبداً ..
(رنين الهاتف)

رفعت :

هذا حظ حصن أكثر من قلاع ..

شريف :

ألو .. مساء الخير يا سيدى ..

صوت رجل :

لنا (نيازي إبراهيم) .. أدرس للتاريخ في كلية أدب (...) ..

رفعت :

مرحباً بك ..

نيازي :

لنا منك يا د . رفعت درست في إنجلترا .. في (ويلز) بالذات .. كنت لى خبرة غير مألوفة مع عوالم ما وراء الطبيعة ، وهى خبرة مخيفة بحق لدرجة أنني أجد صعوبة فى بدء النوم منذ تلك الحين ..

رفعت :

جميل .. جميل .. هذا ما نريده ..

نيازي :

كلامى اليوم عن باب .. هذا الباب الذى أتحدث عنه لم يكن فى مصر .. لم يكن فى مكان تعرفه .. الباب الذى أتحدث عنه لم يكن باباً خشبياً أو حديدياً ، بل كان أقرب إلى جدار سميك يهدم ولا يفتح .. لكن الناس هناك كانوا يسمونه باباً ..

كان هذا فى كهف قرب قرية فى (ويلز) ..

كان الناس يهرون جوار الكهف ، ويتحدثون عن (خريولسن) للحببس هناك .. عن الساحرة التى أعجبته .. ولتى أعجبها محاكم التفتيش هناك .. وكيف دفنوها فيما يعرف بزنزقة (خريولسن) ..

رفعت :

أشعر أن القصة مألوفة .. (خريولسن) ؟ .. هل أنت متأكد ؟

نيازي :

بالطبع لا يوجد عندهم حرف خاء ، لكن النطق العربى ينطق حرفى KH تلقائياً بهذه الطريقة ..

رفعت :

المشكلة أننى كنت هناك !

نيازي :

هذا عجيب .. أنت من دون غيرك يا لكتور ؟ .. وفتحت الجدار ؟

رفعت :

نعم .. ورأيت ما وراءه ..

نيازي :

إن توافقتى على أن هذه أشنع خبيرة واجهتها فى كل حياتك .. أحمد الله على أننى سأموت فتموت هذه الذكرى معى .. رأيت كل شيء ؟ .. حتى لا ... ؟

رفعت :

لا تقل من فضلك .. دعنا نصغ إلى باقى قصتك لئلا نختلف عن خبرتى ، لكن لا تصف أى شيء .. فقط أعط تطباعاً عاماً .. أكرر : هذا خطر جداً ..

نيازي :

عندما احترقت الساحرة أنذرت الناس بأن ولدها (خريولسن) سيعود بعد أعوام حين يفتح الزنزقة رجل أجنبى .. وما لم ينسبه أحد هو أن المصائب لم تفارق القرية لحظة طيلة عمرها المديد ..

وبعد أعوام جاء مغامر إلى الكهف .. كان هذا بريطانياً يدعى د. (هنرى لستر) .. فتنته الأسطورة وصمم على أن يجد رجلاً أجنبياً يفتح تلكم الزنزقة ..

كانت فكرته أن يناول الضيف المطرقة . ثم يطلب منه أن يفتح الجدار بنفسه لأنه ضيفهم ..

طبعاً ما كان الضيف الأحق ليطمأنه أول دم أجنبي يدخل للكهف منذ سبعة أجيال . حقاً لم أتصور أنني كنت هذا الضيف .. إن معلوماتي تقول إن

رفعت :

نعم .. نعم .. من يتكلم يدفع الثمن ..

نيسازي :

دعك من هذا الهراء .. إني ..

(صوت ارتطام بالأرض ثم صوت فحيح وحشرة . ثم صمت)

شريف :

د . نيسازي .. هل أنت معنا ؟

رفعت :

لا تتعب نفسك .. لو كان صادقاً بصدد هذه الزنزقة فمن المستحيل أن يكون معنا .. الشيء الوحيد الذي أنقذني كل هذه الأعوام هو أنني لم أجد الفرصة لاستكمال تلك القصة اللعينة قط .

شريف :

هذا يعني أن الحلقة انتهت ..

رفعت :

بالضبط ..

شريف :

وسوف نسمع غداً عن وفاة مدرس بكلية الآداب بنوبة قلبية ؟

رفعت :

على الأرجح لو لم يكن الخط قد انقطع فحسب .. لا يمكن أن تلوم الرجل على أنه مات وأفسد عليك الحلقة ..

شريف :

وهل تنوى أن تحكي لنا ما رايته هناك ؟

رفعت :

في آخر لحظة في حياتي وعندما أوقن بالموت سأفعل .. ليس قبل ذلك .. صدقني ..

الحلقة الثالثة عشرة

موسى هبتي

نحكىها (رالية محمود)

حاولت إقناعهم فلم يفتنعوا .. ثم وجدت أن هذا يعطينى
مزية لا شك فيها ومن الخصارة أن أقسدها بأن أخبر بها
الجميع .. هذا سلاح سرى فلأبقه فى جيبى ..

شريف :

هذه حلقة جديدة من برنامجكم (بعد منتصف الليل) .. وصلتنا
مكالمات عديدة الأسبوع الماضى تطالب بتقديم موعد البرنامج
قليلاً ، لأن هذا الموعد يتوافق مع نوم الكثيرين .. فى الحقيقة لو
قدمنا للبرنامج قبل منتصف الليل ، لما صار اسمه (بعد منتصف
الليل) .. نحن هنا نبحث عن الليل .. عن السكون .. عن صوت
المنياح الهادئ الذى تسمعه وحدك فتشعر بأنه بكلمك أنت ..

رأيت :

الرعب كائن ليلى .. عندما تسمع قصة مرعبة ظهراً تبدو لك
سخيفة . (لا فكرأفت) نفسه قالها .. أعتقد أن مادة الرعب
القوطى مثل (ستوكر) و (والبول) ما كانوا ليحققوا نجاحهم فى
عصر الكهرباء . تصور سماع قصة (دراكيولا مصاص الدماء)
جوار المدفأة ليلاً والعواصف تزار بالخارج .. لا بد أنها منحت
رجفة ممتلئة للكثيرين ..

شريف :

يقولون لنا كذلك إن نسبة الذين يلقون حتفهم أثناء المكالمات
صارت عالية .. أربعة موتى كل شهر .. هذا كثير ..

رفعت :

هذا شيء مهم في هذه المكالمات .. الضحية يكلمك وأنت عاجز عن مساعدته أو عمل شيء . وأنت تدرك أن ما يحدث له يحدث في الوقت الحقيقي .. في هذه اللحظة بالذات .. هذا شيء مخيف ..

(رنين الهاتف)

شريف :

أعتقد أن هذه مكالمتنا .. ألو ..

صوت قنطرة :

مساء الخير .. أنا رانية محمود .. تخرجت في كلية التجارة ..
أبي نحات شهير لكنى لن أفكر اسمه ..

رفعت :

مرحباً يا رانية ..

رانية :

أعتقد أنك تؤمن بالقدرات الخارقة .. أنا أملك قدرة خارقة لم أسمع عن شخص امتلكها من قبل .. لم أسمع عنها أصلاً ..

رفعت :

وما هي ؟

رانية :

لنا أرى الهالات الحيوية المحيطة بالناس .. قرأت عن تصوير (كيريليان) وعرفت أن الناس تتبعث منهم أشياء كهذه ، لكنى أراها بعيني المجردة .. كنت في الثالثة عشرة من عمري عندما رأيت هذا .. في البدء أصابني الهلع ، ثم عرفت معنى ما لراه ..

رفعت :

كيف ترين هذه الهالات ؟

رانية :

كيف تبدو الهالات ؟ .. تبدو كهالات ! .. فقط لونها يتغير حسب مزاج الشخص .. عندما تكون زرقاء أعرف أنه هادئ .. المزاج المتعكر يجعل لونها قرمزيًا أو أحمر .. للمرض يجعل لونها أصفر أو أخضر .. مثلاً قابلت صديقة لي كانت في أحسن رونق لها ، وكانت مريحة متأنقة .. لكنى رأيت تلك الهالة بلون أخضر لذا سألتها عما إذا كانت مريضة .. قالت لي إنها تشعر بتوعك شديد وإن برآؤها مدمع ، لكنها صممت على أن تبدو بحالة طيبة ..

عندما مرضت جدتي قال جميع الأطباء إنها ستشفى من النوبة القلبية ، لكنى دخلت العلية المركزة لأراها فوجدت بقايا هالة خضراء تشحب ببطء حولها . خرجت وقلت لأمي إن جدتي لن تعيش ، وقد لامتنى واحتفظت منى ، لكن جدتي لم تعيش حتى المساء ..

رفعت :

لا شك أنها موهبة مفيدة بشدة ، لكنها ككل المواهب التي تريد من حساسية المرء تجعل الحياة صعبة . ذو السمع المرفف أكثر من البشر العاديين بجن بعد فترة .. الصمم يسبب البارانونيا على فكرة .. الأصم يعتقد أن كل الناس يسخرون منه أو يتآمرون ضده .. هذا يدل على أن الله أعطانا القدر الكافي الصحيح من الحواس . زيادة الحواس تقود للجنون . نقصها متعب ..

رانية :

هذا صحيح .. من الصير أن تعيش وسط هذا المهرجان من الألوان .. الأسوأ هو تلك الحساسية التي تجعلني أميز الكافيين بسهولة ، وهذا يزيد الأمر خطورة . لن تصدق كون قابلية الانخداع نعمة حتى تعيش ما عشته أنا ..

رفعت :

هل تعرف ذووك بهذه الموهبة ؟

رانية :

حاولت إقناعهم فلم يقتنعوا .. أبى فنان متفتح للذهن ، لكنه ليس على استعداد لقبول كلام كهذا .. ثم وجدت أن هذا يعطيني مزية لا شك فيها ومن الخسارة أن أفسدها بأن أخبر بها الجميع .. هذا سلاح سرى فلأبقيه في جيبى ..

كان هذا إلى أن ظهر (عصام) في كليتنا ..

رفعت :

اسمه يوحى بقصة حب ..

رانية :

ولا حتى قصة مدينتين .. هو مجرد شاب صموت غريب الأطوار ظهر في الكلية في السنة الأخيرة .. لسبب ما قرر أنني فتاة وبدأ يحاول التعرف بي ..

هو ليس منفراً لكني في الحقيقة عجزت تماماً عن رؤية أية هالة تخرج منه ..

هذا غريب ، لكني تعودت على أن أناساً كثيرين لا تخرج منهم الهالات في كل الأوقات .. هناك الناس المرحون الصريحون وهؤلاء يبدون كالألعاب النارية .. هالاتهم لا تتوقف لحظة ..

إلا أن (عصام) لم يبعث أية هالة في أي وقت ، وهذا جعلني أنفر منه .. ذات مرة كان جالساً في الحديقة مع فتاة أعرفها ، وكنا يتكلمان همساً .. لم أسمع حرفاً فرحت أتابع هالة الفتاة .. كانت غاضبة لأن الهالة كانت حمراء جداً .. هنا مد عصام يده وأمسك بيد الفتاة .. أمسكها برغم إرادتها ..

في اللحظة التالية بدا أن الفتاة مرهقة فعلاً .. ترنح رأسها وأغمضت عينيها .. كل هذا معتاد ويمكن أن يمر مر الكرام ، لولا أن هالتها انطفأت .. فجأة لم تعد حولها هالة ..!

أصابني هذا بالذعر ورحت أراقب المشهد .. رأيت الفتاة تمسك برأسها وتتصمت .. نهض وابتاع لها بعض العصير فشربته وعندما عادت تتكلم كانت قد هدأت .. وبدأت هالة زرقاء تنبعث منها ..

رأيت موقفاً مماثلاً عندما احتكت سيارته - وهو يملك سيارة على فكرة - بسيارة أجرة عند باب الكلية .. كان سائق الأجرة سليلط اللسان عالى الصوت وقد نزل من سيارته وراح يطلق السباب .. دفع (عصام) فى صدره مرتين هنا احتد (عصام) وأمسك بمعصم الرجل ..

رأيت الرجل يترنح ويتهاوى على ركبتيه .. لحظة ثم هز رأسه كأنما يفيق من كابوس مريع .. لا داعى لأن أقول إن حالته انطفأت للحظات ..

أخيراً ركب الرجل سيارته وابتعد ، وعلى وجهه نظرة غبية كأنه كان فى الحمام عندما فتح أحدهم الباب عليه .

أما القصة الأغرب فهي موضوع أستاذ الكلية الذى عاقب (عصام) على كلامه فى المحاضرة ، وعده بأنه سيرسب هذا للعام فى مادته ..

بالنسبة للناس العاديين ، يعتبر هذا موقفاً معتاداً ، لكن (عصام) تنتظر الأستاذ بعد المحاضرة ولحق به وراح يتكلم ، ثم مد يده يمسك بمعصم الرجل .. كان هذا خرقاً صارخاً لقواعد

حدود الجسد .. لا أحد يمسك بالأستاذ من معصمه . توقعت أن الأمور ستسوء ، لكنى رأيت الأستاذ يترنح ، ثم يستند على سيارة وجددها بجواره .. انطفأت هالته .. لما استعاد روعه تملص من عصام وابتعد كأنه يرى شيطاناً ..

وجدته يقف أمام (كشك) فى شارع الكلية ويلتهم ثلاث قطع من الشيكولاته وزجاجتى عصير .. هذه سمة مهمة للذين يلمسون عصام .. إنهم يصيرون جوعى يتوحش ..

بعد هذا دخل الأستاذ المستشفى فى تلك الليلة .. كان مصاباً بإعياء غريب .. زرناء نحن تلاميذه فلاحظت أنه لا هالة حوله على الإطلاق .. فقط يخرج منه خيط أخضر أو خيطان من حين لآخر .. وعرفت أنها النهاية ..

بعد هذا بثلاثة أيام توفى إلى رحمة الله ..

لقد انتهى العام الدراسى وتخرجنا ، لكنى أعرف يقيناً أن (عصام) هذا ليس كائنًا بشرياً عادياً .. ما رأيك ؟

رفعت ،

قصة غريبة هي ، لكنى سمعت مثلها من قبل .. ما تتكلمين عنه هو مصلص دعاء نفسى !

شريف ،

هل هناك شيء كهذا ؟

رفعت :

نعم .. مصاص النماء النفسى لا يمتص دمك ولكن يمتص حيويته وطاقتك النفسية . ويتركك مجوفاً خاوياً . تشعر بالحيرة والضيايق والجوع .. ومن لملاحظ طبعا أن أعمله تمر بلاملاحظة ولا إدانة . والأهم أن الخبراء يؤكدون أنهم كثيرون من حولنا . لكن (رانية) بموهبتها رائة متلبساً بالجريمة ..

شريف :

وما هو الحل ؟

رفعت :

لا يوجد حل .. لا يمكنك أن تذهب وتقتله وتقول لرجال الشرطة إنك قتلته لأنه مصاص نماء نفسى .. لا يوجد حل سوى تجنبه ..

شريف :

ومن أين جاء ؟

رفعت :

لا أحد يعرف . على الأرجح هو بيت ليلته فى المقابر كأي مصاص نماء يحترم نفسه .. لا يمكن أن تكون له أسرة ..

رانية :

هذه معلومات غريبة ، لكنى على كل حال لا أحتاج إلى نصيحة كي أتجنبه .. الغريب أنه تقدم لى مؤخراً !

رفعت :

هذا عجيب ..

رانية :

نعم .. جاء بيتنا وطلب يدى .. أبى يفكر فى الأمر كما قال .. لكنى طلبت منه ألا يقابله ثانية ولا يصافحه بأى ثمن ..

رفعت :

جميل . جميل .. اعتقد أنك أحسنت صنعا .. هل من شيء تضيفينه ؟

رانية :

لا .. شكراً .. لقد أكسبت القصة معنى جديداً .. سوف أفكر فى الأمر ..

(تضع السماعة)

شريف :

موضوع غريب ، لكن الحلقة قصيرة جداً برغم هذا .

رفعت :

لا يمكن أن تطالبها بأن تموت في نهاية الحلقة كي تكون الأحداث مشبعة ..

(رنين الهاتف)

شريف :

آلو ..

صوت رجل :

برنامج بعد منتصف الليل ؟ .. أنا (عصام) ! .. (عصام) الذي كانت تلك الأنسة (رانية) تتكلم عنه .. لقد سمعت جلسة النزيمة الممتعة هذه ..

رفعت :

إن أنت مصاص الدماء النفسى إياه ؟

عصام :

ليس اسمى (عصام) طبعاً .. إن كلامك دقيق بالفعل .. لا يهم أن تعرف من أين جئت ولا متى كنت بدليتى .. فقط هي قد فضحتنى على مسامع الجميع .. دعك من رأيها السلبي فى شخصى ، وليكون انتقامى مروغاً ما لم تسمح هى لى بتفسير موقفى !

(يضع السماعة)

رفعت :

هذا جميل .. إنه مجنون كذلك .. بينى وبينك من مصلحتك أن يتخلص منها .. من يملك سرّاً كهذا يهمه أن يتخلص ممن يملك موهبة كهذه ..

شريف :

وماذا تفعل ؟

رفعت :

نأخذ الحذر طبعاً .. لا يوجد الكثير مما يمكن عمله ..

(رنين الهاتف)

شريف :

هذه الحلقة ناجحة أكثر من اللازم .. آلو ..

رانية :

آلو .. هل سمعت يا د. رفعت ؟ .. لقد عرف نفسه على الفور .. ماذا أفعل ؟ .. أنا وحدى هنا فى البيت لأن الجميع سافروا ..

رفعت :

يا لك من حمقاء ! .. لماذا لا تفتحين باب الشقة لتسهيل الأمور عليه ؟ .. أشياء كهذه لا تعلن في المذياع ..

رانية :

أنا أخطبه عبر برنامجكم وأقول له : أنا أدعوك يا عصام . أدعوك لأن تجلس ونتفاهم ونفسر موقفك .. أنا أعتر لك بشدة ..

رفعت :

أنت أغبي من عرفت ، وهذا يدل على أن الذكاء والقدرات الخارقة ليسوا مرتبطين ..

رانية :

د . رفعت .. هناك من يبحث في باب الشقة . هذا حقيقي .. أقسم بالله ..

رفعت :

ما هو عنوانك ؟ .. سوف نبليغ الشرطة حالاً ..

رانية :

رقم 8 شارع الزهور .. الطابق السادس .

رفعت :

جميل جداً .. هناك عشرات المدن وفي كل مدينة عشرة من شارع الزهور هذا .. أنت دقيقة جداً ..

رانية :

إن الباب يفتح .. إنه يمشي في الصلاة ..

رفعت :

هذا لأنك دعوته يا حمقاء .. قلت له (أنا أدعوك) مرتين .. مصاص الدماء لا يهاجم إلا من يدعوه ، وقد وجد الباب مفتوحاً .. قولي لي .. من أين تتكلمين ؟

رانية :

من غرفة الصالون .. قهقهة هنا ..

رفعت :

هل توجد أمامك تلك (البونبونيرة) القبيحة التي تجديتها في كل صالون مصري ؟

رانية :

نعم ..

رفعت :

اجمعى فى قبضتك كل ما تجدين من بونبون وعندما يظهر
اثره على الأرض ..

شريف :

ما معنى هذا ؟

رفعت :

لو كان هذا مصاص دماء فعلاً ، فهم مصابون بوسواس قهري
يجعلهم يتوقفون ليجمعوا أى شيء على الأرض .. كانوا
ينصحون من يمشون فى مناطق موبوءة بمصاصى الدماء أن
يمتلئوا جيوبهم بحبيبات الفول .. عندما يظهر الوغد يعثر الفول
على الأرض .. هذا يشغله مؤقتاً ..

رانية :

هذا هو !..

رفعت :

اثرى البونبون ثم اركضى نحو الباب ..

(ضوضاء - صراخ) ..

رفعت :

راقية ..!.. ماذا حدث ؟

(صرخة مريضة ثم صمت) ..

رفعت :

راقية !..

رانية :

أخيراً .. لقد تم كل شيء ..!..

رفعت :

ما الذى تم ؟

رانية :

عندما اتحنى بجمع البونبون وثبت من خلف ظهره .. جريت
إلى ورشة عمل أبى وأحضرت الإزميل الثقيل .. عدت إلى الصالون
لأجد هذا الفتى منهمكاً فيما يجمعه .. هويت على ظهره بين
لوحي الكتف بالإزميل !

رفعت :

يا حمقاء !.. هل جننت ؟

رانية :

أنت قلت إنه مصاص دماء وأنا فعلت ما يجب عمله !

رفعت :

ما زال احتمال أنه مجنون أو أنك مجنونة قائما !.. قلت لك إنه من المستحيل أن تقتل شخصا ونقول للشرطة إنه مصاص دماء نفسى !.. أنت مخبولة !.. أنا قتلتها من قبل ..

رانية :

أنا فعلت ذلك وأشعر براحة ..!.. أنظر لأساملى فأرى للهالة الزرقاء الهادئة .. لقد فعلت الشيء الصحيح .. هذا الرجل افتحم البيت والباب موصد .. انشغل بجمع اليونيون .. كل من لمسهم مرض .. هل ما زال عندك شك ؟

رفعت :

نحن لا نقتل الناس لأسباب كهذه ..

رانية :

لكن الناس تموت لأسباب كهذه .. والآن ياد .. رفعت أنا مضطرة لتتركك .. الجثة التى أغرقت الغرفة كلها بالدماء ..

الإرميل .. الباب المفتوح .. استدعاء الشرطة .. على طن من الأعمال قبل أن يعود والداى من الخارج !.. شكرا لك وشكرا للبرنامج ..

(تضع السماعة)

رفعت :

لقد صار هذا البرنامج خطيرا ..

شريف :

حتى لو كانت القصة صحيحة مائة بالمائة فكيف تقنع بها أية محكمة ؟

رفعت :

على كل حال هناك محاولة الاتهام شقة على فتاة وحيدة .. هناك تهديد واضح سمعناه فى الهاتف .. كانت حالة دفاع عن النفس لا شك فيها وأعتقد أنها ستجوب بما فعلته .. المهم ألا يكون هذا الفتى مجرد برىء أحمق آخر ..

الخاتمة

هذه آخر مجموعة عندي من حلقات (بعد منتصف الليل) ، ولا أعتقد أنني سأجد المزيد لأنني لا أعيش في قبو بل في شقة يصعب أن تتواري فيها أشياء كثيرة .. لقد استنقذت ثلاث عشرة حلقة بمعجزة ما ..

جولة هي بين عدة قصص تتراوح بين مصاصي الدماء وأحواض السمك التي تحوى أطرافاً مبتورة ، والذين يخرجون من تحت القبور ، وخزانات الثياب الوقحة ، والقطط الأهلاوية الثرثارة .. بعض القصص كان مقلّبا وبعضها كان حقيقيا .. بعض القصص انتهى نهاية مفتوحة مما يروق لي ويستفزكم ، وبعضها انتهى نهاية موصدة .. بعض القصص ينتمي فعلاً لعالم ما وراء الطبيعة ، وبعضها ينتمي لعالم الواقع المفزع .. أرجو أن تكون هذه الحكايات قد رافت لكم وأن تكونوا قد وجنتم فيها بعض التسلية .. كانت لي قصة مع شريف السعدني ربما أحكيها لكم فيما بعد ، لكن لا علاقة لها بالبرنامج ..

هذه آخر مجموعة من (بعد منتصف الليل) وعلى الأرجح هي آخر حلقة رعب كذلك .. لقد أحببت حلقات الرعب كثيرا لأنها

تخرق الجو الروتيني العام للأحداث ، لكن كل شيء يجب أن ينتهي يوما ما ..

والآن أترككم لإجازة الصيف التي فات منها وقت لا بأس به .. لا أعرف الكثير عن نظم التعليم الحديثة هذه ، لكن ما سمعته هو أن أول دقيقة من العام الدراسي التالي تبدأ بعد انتهاء آخر امتحان في العام الدراسي الحالي !

لا أعرف إن كان هذا سيجعل منكم عباقرة أم مجانين ، فإنا لست خبيرا تربويا .. أنا مجرد شيخ مسن يحكى قصصا مخيفة .. لنا لقاء - إن شاء الله - في الكتيب القادم ، وأرجو أن يكون ممتعا أو مسليا أو على الأقل غير ممل .

إن (أسطورة الظلال) كما تعرفون هي قصة أخرى ..!

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فطر الفموض والإثارة

الحلقات المؤسسة

من جديد نعلن في الانتظار جوار
الهاتف .. لو كنت تشعر بخوف غامض ..
لو كنت تسمع من ينسب في الرعدة الآن ، وعندك
الف يقين أنه ليس مجرد نص .. لو كانت خرافة الشباب
تنتظر لك في حدة عندما تدبر ظهرك .. لو كان جهاز
التلفزيون يعرض أفلاما لم ينتجها بشري .. لو كانت سافكت
تقوم بجولة وحدها في المنزل ، فلا تتردد .. إننا ساهرون
هنا ومعنا الدكتور (رفعت إسماعيل) .. سوف نحل
مشكلتك في دقائق ، وإن لم نستطع فسوف نحرك
ممرحات استغاثتك خيال آلاف المستمعين
الساهرين معنا الآن ..



و. محمد غزاله

العدد القادم

أسطورة الظلال

المؤسسة
العربية الحديثة

طبع ونشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

التمن في مصر 400
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

